

نُزُولُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَارِيخُهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ

إعداد

د. محمد عمر حموي

مدير مركز الدراسات القرآنية
بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة

خطة البحث

- (أ) من مقتضيات النزول .
- (ب) التعريف بالقرآن الكريم، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ وقد تحدى القرآن الكريم بأساليب متنوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصرفوا عنه، ورد قول من قال بالصرفة .
- (ج) التعريف بعلوم القرآن الكريم فناً مستقلاً، ومتى ظهر هذا الاصطلاح؟
- (د) نزول القرآن الكريم .
- ١ - متى بدأ النزول، وكم كانت مدة النزول؟
 - ٢ - ما المراد بالنزول، وكيف كان يتلقى جبريل الوحي من الله؟
 - ٣ - وكم نزولاً للقرآن؟
 - ٤ - كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام؟
 - ٥ - هل نزل شيء من القرآن على النبي ﷺ إلهاماً أو مناماً؟
 - ٦ - نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا .
 - ٧ - نزول القرآن مفزقاً .
 - ٨ - حكم التدرج في النزول .
 - ٩ - نزول القرآن على سبعة أحرف .
 - أ - أرجح الأقوال في معناها .

- ب - الحكمة في كونه نزل على سبعة أحرف .
- ١٠ - أسباب النزول .
- أ - تعريف السبب .
- ب - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
- ١١ - أول ما نزل من القرآن الكريم .
- أ - أوائل مطلقة .
- ب - أوائل مقيدة .
- ١٢ - آخر ما نزل من القرآن الكريم .
- أ - أواخر مطلقة .
- ب - أواخر مقيدة .
- ١٣ - ما يترتب على معرفة أول ما نزل، وآخر ما نزل من الأحكام والفوائد .
- ١٤ - الخاتمة وفيها بعض النتائج التي توصل إليها الباحث، واقتراح يقترحه .
- ١٥ - فهرس المراجع .
- ١٦ - فهرس الموضوعات .

المقدمة:

من مقتضيات النزول

إن ما يسمى بعلوم القرآن الكريم مندرج تحت نزول القرآن الكريم ولازم له، وعليه فلا بد من الإمام في الأسطر التالية بالأمور التالية إجمالاً من غير تفصيل في الدقائق، فذلك شأن الموضوعات الخاصة بالنزول الذي هو موضوع البحث.

اعلم أن الأمة اعتنت بنص القرآن الكريم وحفظه، وعلى رأس الأمة نبينا محمد ﷺ فقد بلغ من عنايته بالقرآن الكريم وحرصه على حفظه أن كان يعاجل جبريل حين يقرئه القرآن حتى أنزل الله عليه: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ (القيامة: ١٦-١٩) وأنزل عليه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفُظُونَ﴾ (الحجر: ٩) فعندئذ اطمأن الرسول ﷺ على القرآن وكان جبريل يعارض الرسول ﷺ القرآن في كل سنة، وعارضه القرآن في سنته التي توفي فيها مرتين. وكان صلى الله عليه وسلم يعتني بكتابة القرآن الكريم فكان له كتبة يكتبون القرآن الكريم، يقول لهم: ضعوا آية كذا في مكان كذا من السورة كذا، وكتب القرآن كله في حياته ﷺ في الرقاع واللخاف بإقراره ﷺ. ومما يدل على عناية المسلمين بالقرآن الكريم أنه حفظه منهم في عهد النبي ﷺ عدد لا بأس به، ثم تابع

الحفظ بعد ذلك حتى قيل إنه قتل يوم بئر معونة سبعون من القراء .
ومن مظاهر العناية : به أنه لما استحرّ القتل في الحفظة عمد أبو بكر
إلى جمعه في مكان واحد في الصحف ، واحتاط لذلك الجمع ، حيث
ألف نخبة من الحفظة ، على رأسهم زيد بن ثابت ، الذي كان كاتب
الوحي في حياة النبي ﷺ ، وقد كان أمير المؤمنين أبو بكر الصديق
موفقاً في هذا الجمع ، ثم بعد هذا الجمع ظلت الصحف عند أمير
المؤمنين أبي بكر في خلافته ثم بعد وفاته انتقلت إلى أمير المؤمنين عمر ،
ثم بعد وفاته كانت عند حفصة رضي الله عنها حتى كانت خلافة
أمير المؤمنين عثمان فحصل في زمن عثمان اختلاف بين القراء في
الأمصار ، فكان من توفيق الله أن جمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان
الصحابة ، وعرض عليهم اختلاف القراء في الأمصار وفي المدينة ، وكان
رأيه أن يجمع القرآن في مصحف واحد ، فوافقه الصحابة بالإجماع
على ذلك ، فأرسل إلى حفصة وأخذ منها الصحف ، وجمع القرآن في
مصحف واحد ووزعه على الأمصار ، فكان بذلك موفقاً حيث أدرك
الناس قبل أن يختلفوا .

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند المسلمين : أنهم حرروا
القراءات وفرقوا بين المتواتر والشاذ ، وجعلوا قواعد لا يثبت القرآن إلا
بها وهي :

أولاً : الإسناد المتصل للقراءة في كل طبقة .

ثانياً : موافقة القراءة لوجه نحوي .

ثالثاً: أن يحتملها الرسم العثماني .

وكل قراءة لا تتوفر فيها هذه الشروط، عدّها العلماء شاذة ولا تسمى قرآناً، ولا تجوز القراءة بها^(١) .

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناده هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

وحيث ما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند هذه الأمة: أنه لا بد فيه من التلقي مشافهة، تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام شفاهاً، وتلقاه الصحابة الأثبات العدول من النبي ﷺ، ثم تلقاه التابعون الأخيار من الصحابة كذلك، ثم تلقاه أتباع التابعين من التابعين كذلك، إلى أن وصل إلينا غصاً طرياً كما أنزل، فالقراءة سنة متبعة لا مدخل للقياس فيها، والاعتماد فيها على التلقي والتواتر.

وقد اعتنى المسلمون بالقرآن عناية فائقة، حيث ألّفوا في كل جزء منه، فرقوا بين مكيه ومدنيه، وعرفوا مكيه بأنه ما نزل قبل الهجرة، كما عرفوا المدني بأنه ما نزل بعد الهجرة، هذا التعريف المختار، ومع تعريف المكي والمدني، فقد جمعوا المكي، وميزوه دون المدني، وكل ذلك عناية بالقرآن الكريم.

كما اعتنوا بسور القرآن الكريم وآياته، وذكروا أن ترتيب الآيات

(١) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٧ .

توقيفي من النبي ﷺ كما هو الآن، وأما ترتيب السور ففيه خلاف بينهم^(١)، كما ألفوا في أسماء السور، وعدد الآيات.

ومن هذه العناية الدقيقة: اعتناؤهم برسمه الذي رسم به في زمن النبي ﷺ وبإقراره، وأجمع عليه الصحابة بعد ذلك في زمن عثمان، وذهب الكثير من العلماء إلى أن رسم القرآن توقيفي لا تجوز مخالفته، حتى إن بعضهم كان يرى أن تكتب الكتابات الأخرى كما كتب القرآن على رسمه وعلى نمطه.

وخلاصة القول أن العلماء لم يتركوا شيئاً يتعلق بالقرآن الكريم إلا وكتبوا فيه مثل ناسخه ومنسوخه، وأقسامه، ومطلقه ومجمله، ولما كان هذا البحث الذي كلفنا بالكتابة فيه، تحت عنوان "نزول القرآن" اخترنا الكتابة فيما له صلة وثيقة بالنزول.

(١) تناسق الدرر في تناسب السور ١/ ٥٦ .

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، وقد تحدى القرآنُ بأساليب متنوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصرفوا عنه، والردُّ على من قال بالصرفة.

اعلم أن تعريف القرآن الكريم: هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، وقد عرفه صاحب المراقي في ألفيته بقوله (١):

لفظ منزل على محمد لأجل الإعجاز وللتعبد (٢)

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته (٣) فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة؛

(١) ٩٧/١، تحقيق د/ مختار محمد الأمين.

(٢) (القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) شرح العقيدة الطحاوية (طبع مؤسسة الرسالة) ١٧٢/١ اللجنة العلمية.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٠-٢١.

لأن المعجزات على ضربين : الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ . والثاني : ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً كثيراً وجماً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبي ﷺ، قال القرطبي (١) : "لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام، المعلوم وجوده بالضرورة وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل، فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به، فالقرآن معجزة نبينا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة، مع أن معجزة كل نبي انقرضت بانقراضه أو دخلها التبديل كالتوراة والإنجيل، فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت : إن النبي ﷺ تقوله أنزل الله تحدياً لهم قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٢) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٧٢ .

مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ (الطور : ٣٣-٣٤) ثم تحدّاهم وأنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ (هود : ١٣) . فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار إلى مثل سورة من السور القصار فقال جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (البقرة : ٢٣) . فأفحموا عن الجواب وتقطعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعناد وآثروا سبي الحریم والأولاد، ولو قدروا على المعارضة لكان أهون كثيراً وأبلغ في الحجة وأشد تأثيراً مع كونهم أرباب البلاغة وعنهم تؤخذ الفصاحة .

واعلم أن القرآن نفسه هو المعجز بألفاظه ومعانيه؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، وما قاله النظام ومن على شاكلته من أن وجه الإعجاز في القرآن هو أنهم منعوا منه وصرفوا عنه قول فاسد؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفه هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع .

هذا وقد ذكر العلماء أوجهاً كثيرة للإعجاز نلخص منها ما يأتي بإيجاز :

١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال ربّ العزة الذي تولى نظمه : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ (يس : ٦٩) . وفي صحيح مسلم :

أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحر^١ وكان أنيس أحد الشعراء. قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر^(١) فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون^(٢).

٢- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

٣- الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال^(٣)، قال القرطبي: وتأمل ذلك في سورة ق والقرآن المجيد إلى آخرها وقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) إلى آخر السورة، وكذا قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم: ٤٢) إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر: ١٦) ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ (الرعد: ١٣).

٤- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف

(١) أقراء الشعر: أنواعه وطرقه وبحوره وأنحائه.

(٢) مسلم رقم ٢٤٧٣، البخاري رقم ٣٥٢٢، أحمد رقم ٢١٠١٥.

(٣) انظر: البرهان ٢/ ٢١٨-٢٥١ الإتيان ٤/ ٣-٢٣، المحرر الوجيز ١/ ٣٨، النكت

في إعجاز القرآن ١٠٣، ١٠٤.

مَوْضِعُهُ .

٥- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، مع أنه أخذ بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، وذكر ما سألته أهل الكتاب عنه، وتحذوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين.

٦- الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه وإلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣) وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١).

٧- الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣) ففعل ذلك، وكان أبو بكر إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً.

٨- ما تضمنه القرآن الكريم من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في

الحلال والحرام وسائر الأحكام .

٩- التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف .

قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ٨٢) .

١٠- الحكم الكثيرة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي .

التعريف بعلوم القرآن فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح

هو علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابه وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم^(١)، وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول العلوم التي لا بد للمفسر منها^(٢).

وأول ظهور هذا المصطلح لعلوم القرآن فناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى ٤٣٠هـ في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، ثم تبعه ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في كتابه "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن"، ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ بكتاب "وافية سماه" البرهان في علوم القرآن" ثم جاء البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ فألف كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم"، ثم جاء خاتمة الحفاظ وفارس الميدان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بكتاب "الإتقان في علوم القرآن"، وصار الناس بعده عيالاً عليه، كلُّ يأخذ منه، والبعض يلخص والبعض يختصر.

(١) المدخل ٢٥/١ وما بعدها.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١٦/١.

وقد نشط التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث مثل كتاب مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن، (والنبأ العظيم) للدكتور محمد عبدالله دراز، وكتاب الشيخ طاهر الجزائري (التبيان في علوم القرآن)، وكتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، وكتاب (المدخل في علوم القرآن) لشيخنا الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبه رحمه الله، وكتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان رحمه الله، إلى غير ذلك من التأليف الكثيرة في هذا العصر.

متى بدأ النزول وكم كانت مدة النزول؟

إن بحث نزول القرآن وتاريخ نزوله، لمن أهم المباحث؛ إذ به تعرف تنزلات القرآن الكريم، ومتى نزل، وكيف نزل، وعلى من نزل وكيف كان يتلقاه جبريل من الله تبارك وتعالى؟ ولا شك أن العلم بذلك يتوقف على كمال الإيمان، بأن القرآن من عند الله، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، كما أن كثيراً من المباحث التي تذكر في هذا الفن يتوقف على العلم بنزوله، فهو كالأصل بالنسبة لغيره.

أنزل الله القرآن الكريم على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان نزوله حدثاً جليلاً مؤذناً بمكانة النبي ﷺ عند أهل السماء والأرض.

فإنزاله الأول في ليلة القدر نبه العالم العلوي على شرف هذه الأمة، وأنها القائدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فقد مدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأنه اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم فيه، قال ابن كثير^(١): "وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء".

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠٩/١.

قال الإمام أحمد بن حنبل^(١) - رحمه الله - : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة - يعني ابن الأسقع - أن رسول الله ﷺ قال : " أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان " .

وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثماني عشرة والباقي كما تقدم . رواه ابن مردويه^(٢) .

أما الصحف والتوراة والزبور والإنجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة، وأما القرآن فكان نزوله الأول جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، كما تدل عليه الآيات : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ... ﴾ (البقرة : ١٨٥) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ﴾ (الدخان : ٣) .

أما تاريخ نزول القرآن منجماً وهو النزول الثاني، فقد كان بعد الأربعين من عمره ﷺ حينما بعث في يوم الاثنين وكان أول ما نزل عليه صدر سورة اقرأ كما ذكر ذلك محققو أهل العلم من أهل التفسير والحديث والسير، قال العلامة الفاسي في نظمه "قرة الأبصار في سيرة

(١) المسند ٤ / ١٠٧، الطبراني في الكبير ٢٢ / ٧٥، والبيهقي في شعب الإيمان :

٤١٤ / ٢ .

(٢) ابن كثير ١ / ٢١٧، قال : رواه ابن مردويه .

المشفع المختار^(١):

بيان مبعث النبي الهادي	صلى عليه خالق العباد
وجاءه جبريل في غار حرا	من بعد أربعين عاما غربا
في يوم الاثنين بسورة العلق	صلى عليه الله فالتق الفلق
فقام يدعو الإنس والجن إلى	توحيد رب العالمين مرسلا
مؤيداً منه بما أعيا البشر	إحصاءه من معجزات كالمطر
نفعاً وكثرة وكالسراج	نورا ورفعة مع ابتهجاج
ومع ذا حاصره الفجّار	كما أتت بذلك الأخبار
وكان قادرا على التدمير	لو شاء لكن جاد بالتأخير
حتى هدى الله به من شاء	منهم ومن أصلا بهم أبناء
ثم أعز دينه ونصره	وأيد الحق به وأظهره

قال في الإتقان^(٢):

"أما إنزاله الثاني مفقداً على حسب الوقائع خلافاً لما كان معهوداً عندهم في الكتب السابقة فقد أثار الضجة عند القوم حتى حملهم على المحادة والمساءلة حتى ظهر لهم الحق فيما بعد من أسرار الحكم الإلهية في إنزاله مُنَجِّماً على حسب الوقائع حتى أكمل الله الدين".

هذا وقد يظن البعض أن الآيات من قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ

(١) مخطوطة، منظومة في السيرة ص ٣.

(٢) ١١٦/١.

أَلْقُرْآنُ ﴿ (البقرة: ١٨٥) الآية، وقوله: ﴿حَمْدٌ ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿ (الدخان: ١-٣) الآية، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿ (القدر: ١) . بينها تعارض، والواقع أنه لا تعارض بينها، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، وإنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة الرسول ﷺ؛ لأن القرآن نزل عليه خلال ثلاث وعشرين سنة .

وقد روي من غير وجه عن ابن عباس كما قال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل عطيّة بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشك من قول الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿ وقد أنزل في شوال وذي القعدة وفي ذي الحجة والمحرم، وصفر وشهر ربيع .

المذهب الأول: فقال ابن عباس وجمهور العلماء: إن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث، نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، تعظيماً لشأنه عند الملائكة، ثم أنزل بعد ذلك منجماً على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والأيام في ثلاث وعشرين سنة، حسب الوقائع والأحداث منذ بعثه ﷺ إلى أن توفي حيث أقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات، منها:

١- عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا^(١) ليلة

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٢/ ٢٤٢ رقم ٢٨٧٨، والبيهقي ٤/ ٣٠٦ .

القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣). وقوله: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (الإسراء: ١٠٦).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه إثر بعض^(١).

٤- وعنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوماً "رواه الطبراني".

المذهب الثاني: هو المروي عن الشعبي أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ، فقد ابتداء نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجاً مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة.

قال: فليس للقرآن إلا نزول واحد هو نزوله منجماً على رسول الله ﷺ؛ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٢/ ٢٤١ وصححه ووافقه الذهبي وابن الملتن وصححه أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٦٢٠ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٣١.

النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ ﴿ (الاسراء: ١٠٦) ، ولهذا جادل فيه المشركون لكون الكتب السماوية نقل إليهم نزولها جملة، واحدة قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٢-٣٣).

قال: ولا يظهر للبشرية مزية لشهر رمضان وليلة القدر التي هي الليلة المباركة إلا إذا كان المراد بالآيات الثلاث نزول القرآن على رسول الله ﷺ وهذا يوافق ما جاء في قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجُمُعَاتِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١). وقد كانت غزوة بدر في رمضان، ويؤيد هذا ما عليه المحققون في حديث بدء الوحي.

عن عائشة قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" (١). فالحققون على أن رسول الله ﷺ نبى أولاً بالرؤيا في الشهر الذي ولد فيه وهو شهر ربيع الأول، وكانت المدة بين الرؤيا والوحي إليه يقظة ستة أشهر ثم أوحى إليه يقظة بـ ﴿أَقْرَأْ﴾.

قال الشيخ مناع القطان رحمه الله (٢): "وبهذا تتآزر النصوص على معنى واحد".

(١) رواه البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم كتاب الإيمان ١٦٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ١٠٠ وما بعدها.

المذهب الثالث : يرى أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر، في كل ليلة منها ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، وهذا القدر الذي ينزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لسنة كاملة ينزل بعد ذلك منجماً على رسول ﷺ في جميع السنة .

ولا شك أن هذا المذهب اجتهد من بعض المفسرين؛ فليس هناك ما يدل عليه، أما المذهب الثاني فإنه لا تعارض بينه وبين المذهب الأول الذي هو مذهب ابن عباس والجمهور .

فالأرجح أن القرآن الكريم له تنزّلان، كما علمت :

الأول : نزوله إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة .

وقد نقل القرطبي^(١) الإجماع على هذا النزول عن مقاتل بن حيان، ومن قال بقوله : الحليمي والماوردي^(٢) .

الثاني : نزوله من السماء الدنيا مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة .

(١) ٢٩٧/٢ .

(٢) الإيتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١١٦ .

الحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء

١ - تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم. قال السيوطي نقلاً عن أبي شامة في المرشد الوجيز: "لولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقاً تشریفاً للمنزل عليه" (١).

٢ - وقال السخاوي في جمال القراء: "نزوله إلى السماء الدنيا جملة تكريم لبني آدم وتعظيم لشأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم".

والقرآن بالاستقراء كان ينزل حسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وصح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة، ونزول عشر آيات من أول سورة المؤمنون جملة، كما صح نزول: ﴿غَيْرُأُولِي الضَّرَرِ﴾ وحدها وهي بعض آية، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ إلى آخر الآيات. ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري (٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار،

(١) الإتيان في علوم القرآن ١١٦/١ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن، ص ١٠٠

فما بعدها، المدخل في علوم القرآن ص ٥٨، فما بعدها.

(٢) رقم ٤٩٩٣ في كتاب الفضائل.

حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء :
لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: "لا تزنوا": لقالوا
لا ندع الزنى أبداً.

اعلم أن القرآن الكريم له وجودات ثلاثة:

١ - وجوده في اللوح المحفوظ.

٢ - وجوده في السماء الدنيا.

٣ - وجوده في الأرض، بنزوله على النبي ﷺ، ولم يقترن النزول إلا
بالوجود الثاني والثالث؛ وقد دل القرآن الكريم أنه كان قبل نزوله في اللوح
المحفوظ؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾﴾
(البروج: ٢١-٢٢).

وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي قال الله عنه: ﴿إِنَّهُ
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾
(الواقعة: ٧٧-٨٠) والذي عليه جمهور المفسرين أن الكتاب المكنون
هو اللوح المحفوظ، واللوحة المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه
في الأزل كل ما كان وكل ما يكون، والواجب علينا أن نؤمن به وأنه
موجود ثابت، أما البحث فيما وراء ذلك فلسنا مطالبين به.

أما كيف كان جبريل يتلقى الوحي؟ فلا يركن إلى شيء مما قيل في
ذلك إلا ما أوماً له الدليل، وأولى قول في هذا المجال هو ما ذكره البيهقي
في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ قال: يريد والله أعلم "إنا

أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، وهذا القول يشهد له ما رواه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: "إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به حيث أمر". والحديث وإن لم يكن نصاً في القرآن إلا أن الوحي يشمل وحي القرآن وغيره^(١).

أما قول من قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب، لم يسمعه من الله، فهذا قول باطل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) وقد أخبر تعالى بأنه منزل منه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١١٤) وقال تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ١-٢) وقال تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلٌ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الأحقاف: ١-٢). فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله ﷺ من البشر والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس. وكلاهما مبلغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): "وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل

(١) المدخل ١/٢٥٥، الإتيان ١/٤٥، مباحث في علوم القرآن ج ١، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢) الفتاوى ١٢/١٢٧ فما بعدها.

(٣) الفتاوى ١٢/٢٦٠.

ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء، كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتالين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه".

قال الإمام السيوطي^(١): "قال الجويني: كلام الله المنزل قسمان:

أ - قسم قال الله لجبريل قل للنبي ﷺ - الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على النبي ﷺ وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة، واجمع جندك للقتال. فإن قال الرسول بقول الملك لا تتهاون في خدمته ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة.

ب - قسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول له اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً".

قال السيوطي: "القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، وقد ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن قال: ولهذا جازت رواية السنة بالمعنى بخلاف القرآن الكريم فإنه نزل جبريل بألفاظه ومعانيه فلا تجوز روايته بالمعنى. والسرف في ذلك أن القرآن

(١) الإتيقان ١/ ١٢٨.

يقصد التعبد بالفاظه وهو كذلك معجز فلا يمكن لأحد مَهَمًا أوتي من
البلاغة والفصاحة أن يأتي بلفظ يقوم مقامه .

كما أن فيه تخفيفاً على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين :
قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما
يروى باللفظ لشق ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل " . قال صاحب
المدخل^(١) : " وكذلك ليس للنبي ﷺ في القرآن شيء إلا مجرد التبليغ
فقط وهذا هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقد ويؤمن به " .

قال : " ولا يلتفت إلى ما زعمه بعض من يهرف بما لا يعرف ، أو من
يفتري ويختلق من أن جبريل أوحى إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ
الدالة على المعاني بلغة العرب ، ثم نزل على النبي ﷺ كذلك أو أن
جبريل أوحى إلى النبي ﷺ المعنى وأن النبي ﷺ عبر عن هذه المعاني
بلفظ من عنده . فهذا القول زعم وخرص لم تقم عليه أثارة من علم .

وهو خلاف ما تواتر عليه القرآن والسنة ، وانعقد عليه إجماع الأمة
من أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله ومن عند الله منه بدأ وإليه يعود " .
إلى أن قال : " وهذا الزعم لا يقول به إلا جاهل استولى الجهل والغفلة
عليه ، أو زنديق قد يدس في الدين والعلم ما ليس منه " .

ولا يغتر بوجوده في بعض الكتب الإسلامية ، فأغلب الظن أنه
مدسوس على الإسلام والمسلمين . هذا وقد بلغ النبي ﷺ القرآن الكريم

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ٦٢/١ .

من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لشيء منه ولا كتمان له، ولو كان
 كاتماً شيئاً [حاشاه من ذلك] لكتبتم تبليغ الآيات التي عوتب فيها
 ويكفي أن تقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
 مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧)، وقوله: ﴿وَإِذَا
 تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَأْتِنَا بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ
 قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
 رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: ١٥)، وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٤٦ ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ٤٧
 (الحاقة: ٤٤-٤٧) .

كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل؟

١- أحياناً يأتي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صفة رجل من البشر وكان كثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي .

٢- وأحياناً يأتي ولا يراه الحاضرون، وقد يسمعون له دويماً وصلصلة كصلصلة الجرس .

ودل على هاتين الحالتين من الوحي ما رواه البخاري في صحيحه^(١) بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت منه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول..." الحديث .

هذا والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحى به في اليقظة وحيّاً جلياً^(٢) .

(١) البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم رقم ٢٣٣٣ .

(٢) المدخل ٥٨/١ .

نزول القرآن مفروقاً (منجماً)

قال تعالى: ﴿وَلَنُنَزِّلُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥). وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ١٠٢). ويقول تعالى: ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (الجاثية: ١-٣). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٣). وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧). فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله ﷺ، وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا فالمراد به نزوله منجماً، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفروقاً، والإنزال أعم^(١).

فقد نزل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة على القول الراجح، وعشر بالمدينة المنورة.

ومن الأدلة على نزول القرآن مفروقاً قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى

(١) المفردات للراغب ٧٩٩، مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠.

النَّاسِ عَلَى مُكِّثٍ وَنَزَّلَتْهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ (الإسراء: ١٠٦). والمعنى: جعلنا نزوله مفرقاً كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث^(١).

قال الزرقاني في مناهل العرفان^(٢): "وفي تعدد النزول وأماكنه، مرة في اللوح وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ، في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن الكريم، وزيادة للإيمان؛ لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة، وصحت له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به مما لو سجل في سجل واحد، أو كان له وجود واحد".

(١) ابن جرير الطبري جامع البيان ٨٤/٢، فما بعدها، تفسير أبي السعود ٣١٥/١.

(٢) ٤٧/١.

نزول الكتب السماوية الأخرى

الصحيح المشهور بين العلماء أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة ولم تنزل متفرقة، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝﴾ (الفرقان: ٣٢).

فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة كما على ذلك جمهور العلماء.

ووجه الدلالة أن الله لم يكذبهم في دعواهم أن الكتب السماوية نزلت جملة واحدة - فلو كان نزول الكتب السماوية مفرقاً لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن مفرقاً منجماً؛ لأن معنى قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هلاً أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب، وما له أنزل على التنجيم ولم ينزل مجموعاً؟، بل بين لهم الحكمة من نزول القرآن منجماً. ولو كانت الكتب السماوية نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول لهم: إن التنجيم سنة الله في الكتب التي أنزلت على الرسل كما أجاب بمثل ذلك في قولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧) قال في الرد عليهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴿٢٠﴾ (الفرقان: ٢٠). فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ سَنَنَ الْمُرْسَلِينَ
وَالْأَنْبِيَاءِ^(١).

(١) الإِتْقَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ ١/١١٦، المَدْخُلُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ ١/٥٥، مَبَاحِثُ فِي عِلْمِ
الْقُرْآنِ، ١/١٠٠ فَمَا بَعْدَهَا، ابْنُ كَثِيرٍ ١/٣٠٩.

الحكم التي تستفاد من نزول القرآن مفرقاً منجماً

لا شك أن في نزول القرآن منجماً -مفرقاً- على حسب الوقائع والأحداث حكماً وأسراراً عظيمة، كيف وذلك التنجيم ممن أنزل القرآن وهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤). يعلم سبحانه المنهج الصالح لتربية الأمة، المنهج الذي يجعلها أمةً منقادة لأوامر الله، منتهية عن مساخطه.

ونلخص هنا بعض الحكم التي ذكرها العلماء والباحثون في هذا المجال:

١- الحكمة الأولى: تثبت فؤاد النبي ﷺ وتطمين خاطره وقلبه. وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذه الحكمة في قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: ٣٢). ويندرج تحت هذه الحكمة كثير.

لقد وجه رسول الله ﷺ دعوته إلى الناس فوجد منهم نفوراً شديداً وقلوباً قاسية، قابله قومه بقلوب قاسية فطرت على الأذى، وقابلوه بصنوف الأذى والشتم مع رغبته الصادقة وسعيه المشكور في إيصال الخير الذي جاء به إليهم حتى قال الله تعالى في حقه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦) فكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ فترة بعد فترة ليثبت فؤاده على الحق

ويقوي عزمه على المضى في الخير.

وقد بين الله أن سنته في أنبيائه السابقين أنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى جاءهم نصر الله، وبين كذلك أن قومه ما كذبوه إلا استكباراً وعلواً، ورداً للحق، فيجد الرسول ﷺ في ذلك تسلية له، قال تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمَ إِنَّهُ يَمُوزُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٣). وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (الأنعام: ٣٤). وقال جلّ وعلا: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران: ١٨٤)، ونجد القرآن يأمره بالصبر في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

فكلما اشتد ألم رسول الله ﷺ بسبب تكذيب قومه وداخله الحزن لأذاهم، نزل القرآن دعماً وتسلية له عما يعانيه من قومه، فهدد المشركين المكذبين بأنه يعلم أحوالهم وسيجازيهم بما يستحقون، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يَسُرُّونَ وَمَا يَعْلَنُونَ ﴾ (سورة يس: ٧٦)، وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة: ٦٧). وقال: ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح: ٣)، وقال: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (المجادلة: ٢١). وأحياناً تنزل الآيات بوعيد المكذبين للأنبياء كما قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٧) أو أمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن

يَأْتِيَهُمْ بِأَسْوَاطٍ مَعْنَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ (الأعراف: ٩٧ - ٩٨).

وآونة تنزل الآية بالبراهين والحجج الدامغة في الرد عليهم فيما يتمسكون به من شبه واهية، كآليات الواردة في إثبات توحيده وصفاته، واستحقاقه للعبادة وإثبات البعث والحشر، وكان من ثمرة هذا التثبيت أن أبدى النبي ﷺ غاية الثبات والشجاعة والوثوق بالله في أخرج المواقف وأشدها هولاً. انظر إلى قوله للصديق في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

وهكذا كانت آيات القرآن تنزل على رسول الله ﷺ تبعاً تسليية له بعد تسليية، وعزاء حتى لا يأخذ منه الحزن مأخذه، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلاً.

٢ - من الحكم البارزة: تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه على النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على ذلك غاية الحرص، حتى إنه كان يعاجل جبريل ولا ينتظره حتى يفرغ حتى أنزل الله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤). وقال تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ (القيامة: ١٦ - ١٩).

هذا وإن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف الكتابة ولا القراءة وكانت ذاكرتها وحفظها هما السجل لها، لا دراية لها بالكتابة حتى تكتب وتدون ثم تحفظ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو

عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾
 (الجمعة: ٢). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
 مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فلو نزل القرآن جملة واحدة على هذه الأمة الأمية التي لا تعرف
 الكتابة ولا التدوين لم يصح لها أن تحفظ القرآن كله بيسر، وكان نزوله
 مفزقاً أكبر عون لها على حفظه في صدورهم وفهمها لآياته.

كلما نزلت الآية فهمها الصحابة، وتدبروا معانيها، وقد كان هذا
 منهجاً لحفظ القرآن في عهد التابعين.

عن أبي نضرة قال: "كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس
 آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي، ونجد أن جبريل نزل بالقرآن
 خمس آيات خمس آيات". أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعن
 خالد بن دينار قال: "قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات
 خمس آيات؛ فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً" أخرجه
 البيهقي^(١).

٣- من الحكم كذلك: التدرج في تربية الأمة دينياً وخلقياً
 واجتماعياً وعقيدة وعلماً وعملاً، وهذه الحكمة أشار إليها القرآن في
 قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

لقد تدرج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة

(١) الإتيان ١١٦/١ وما بعدها. مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠ فما بعدها.

والمنكرات الماحقة، فقد بعث النبي ﷺ إلى قوم يعبدون الأصنام ويشركون بالله، ويسفكون الدماء، ويعدون البنات ويشربون الخمر ويقتلون النفس لأتفه الأسباب، ويفعلون القبائح، ومعلوم أن النفس يشق عليها ترك ما ألفته وتعودته مرة واحدة كما يصعب رجوعها وإقلاعها عما اعتقدته بمجرد النهي عنه. فللعقائد والعادات سلطان على النفوس، والناس أسراء ما ألفوا ونشأوا عليه، فلو أن القرآن نزل جملة واحدة، وطالب بالتخلي عما هم منغمسون فيه من الكفر والجهل والمنكرات مرة واحدة لما استجاب إليه أحد.

لذلك اقتضت حكمة الله أن يتدرج القرآن في انتزاع العقائد الفاسدة فينهى أولاً عن عبادة غير الله، فإذا ما أقلعوا عنها أخذ في النهي عن منكر آخر، وهكذا تدرج القرآن معهم في انتزاع المنكر الواحد كما حدث في تحريم الخمر فقد نزل فيه أول ما نزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢١٩) فشربها قوم وتركها آخرون، ثم إن بعض المسلمين صنع طعاماً ودعا أصحابه فأكلوا وشربوا ثم قام أحدهم ليصلي بهم فقراً: قل يا أيها الكافرون فخلط فيها ونقص وزاد، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (النساء: ٤٣).

فكانوا بعد ذلك يتركونها عند الصلوات وفي الأوقات القريبة منها حتى لا يقعوا في مثل هذا الخلط، وبذلك صار من السهل تحريمها تحريماً

باتاً، فقد صنع بعض المسلمين طعاماً فأكلوا وشربوا حتى لعبت الخمر برؤوسهم فتناشدوا الأشعار فتشاجروا حتى شج أحدهم رأس الآخر، فقال الفاروق عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فحرمها الله بعد ذلك تحريماً باتاً حيث أنزل فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١) فقال عمر: انتهينا. فمن ثم اقتضت الحكمة نزول القرآن مفزلاً^(١).

من الحكم كذلك: التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والعملية والآداب والأخلاق الفاضلة.

فقد أمر القرآن أولاً بالإيمان بالله وصفاته، وعبادته وحده، حتى إذا ما آمنوا بالله دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر، ثم بالإيمان بالرسول والملائكة حتى إذا ما اطمأنت قلوبهم بالإيمان، وأشربوا حبه، سهل عليهم بعد ذلك تقبل الأوامر، والتشريعات التفصيلية والأحكام العملية والفضائل والآداب العالية، فأمرُوا بالصلاة والصدق والعفاف، ثم بالزكاة ثم بالصوم، ثم بالحج، كما بينت أحكام النكاح، والطلاق والرجعة والمعاملات من بيع وشراء وتجارة إلى غير ذلك من المعاملات.

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى هذه الحكمة كما

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ٦٩.

في صحيح البخاري^(١) قالت عائشة: إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا لقالوا لا ندع الزنى أبداً.

وقد دل القرآن بهذه السياسة الحكيمة الرشيدة في إصلاح الشعوب وتهذيب أخلاقها على أنه معجز وأنه كلام الله، فما كان لبشر مهما كان ذكاًؤه أن يتوصل إلى هذه الطرق الحكيمة، في الوقت الذي بعث فيه نبينا ﷺ ولكن هذا من صنع العليم الخبير.

٤ - من الحكم كذلك: تثبيت قلوب المؤمنين وتعويدهم الصبر والتحمل بذكر قصص الأنبياء، وما لاقوه وأن العاقبة للمتقين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥) وكقوله: ﴿الْعَرَبُ أَحْسِبُ النَّاسَ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١-٣).

٥ - التحدي والإعجاز: فالمشركون تمادوا في غيهم وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحديّ يمتحنون بها رسول الله

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٥٦، وما بعدها، صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن رقم الحديث ٤٩٩٣.

ﷺ في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب كعلم الساعة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ (الأعراف: ١٨٧). وكقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ (سورة الحج: ٤٧). وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان: ٣٢).

ويشير لهذه الحكمة ما جاء في بعض الروايات من حديث ابن عباس عن نزول القرآن فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس^(١).

قال في المدخل^(٢): "فنزوله منجماً مفرقاً من أقوى الأدلة على أنه معجز وأنه كلام الله، إذ لو أنزله الله جملة واحدة لكانت لهم حجة أن يقولوا: شيء نزل علينا مرة واحدة، فلو نزل علينا مفرقاً لعارضناه، فقطع الله عليهم تلك الحجة فكأنه يقول لهم: إن كنتم تقولون إنه ليس كلام الله، فأتوا بسورة مثله أو بعشر سور، أو آية، فسجل عليهم العجز الأبدي".

ومع نزوله مفرقاً على مدى بضع وعشرين سنة كان غاية في روعة

(١) الإتيان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها .

(٢) ٧٥/١، الإتيان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها، البرهان في علوم القرآن،

مباحث في علوم القرآن، وغير هذه من الكتب التي تتعلق بعلوم القرآن: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٥٣ - ٦٠ .

الأسلوب ورصانة الألفاظ، لاتفافوت فيه، فكان بذلك معجزاً.

٦- من الحكم كذلك: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل

من حكيم حميد.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل مفزقاً على مدى عشرين سنة حسب الوقائع والأحداث، ومع طول هذه الفترة، كانت تنزل منه الآية والآيات الكثيرة، والآيات القليلة على اختلاف الموضوعات ومع ذلك كان أسلوبه أسلوباً واحداً لم يتغير في فصاحته وجزالته وقوته، فأسلوبه واحد، مترابط بعضه ببعض، لا انفكاك فيه متناسق الآيات والسور كأنه عقد واحد: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَتُفَصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١) فلو كان من كلام البشر وقد قيل في مناسبات كثيرة، وموضوعات مختلفة متباينة، لوقع فيه التفكك والانفصام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

هذا والحكم التي أخذت من نزول القرآن مفزقاً منجماً كثيرة لا تكاد تحصر، وقد نشرها علماء هذا الفن في كتبهم وقد لخصنا منها ما ذكرنا تلخيصاً، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا في الدين وأن يجنبنا الزيف.

الكلام في نزول القرآن على سبعة أحرف

بما أن هذا الموضوع من أخصّ موضوعات نزول القرآن لا بد من التطرق إليه على انفراد بإيجاز، مع العلم أن الموضوع تكلم فيه العلماء قديماً وحديثاً وأكثروا فيه الأقوال، ولا سيما المعنى المراد بكونه نزل على سبعة أحرف، وأنا أتناوله حسب المحاور التالية:

المحور الأول: النصوص الدالة على نزوله على سبعة أحرف:

اعلم أيها القارئ الكريم أن حديث: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" جاء عن كثير من الصحابة حتى ذكر بعض العلماء عنه التواتر، وممن قال بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكر السيوطي في الإتيان أنه جاء عن واحد وعشرين من الصحابة^(١).

منهم على سبيل المثال: أبيّ بن كعب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر ابن الخطاب، وغير هؤلاء. وأخرج الحافظ أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر: "أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف"^(٢) لما قام فقاموا حتى لم يحصوا

(١) الإتيان في علوم القرآن ١/ ٤٥ .

(٢) البخاري رقم ٢٤١٩، مسلم رقم ٨١٨ .

فشهدوا بذلك فقال: وأنا أشهد معهم، قال في المدخل: "وهذا يدل على أن الحديث كان معروفاً مشهوراً غاية الشهرة في زمن الصحابة، ولكن هل نقله عنهم في كل طبقة جماعة كثيرون ممن يثبت بهم التواتر؟ قال: هذا ما يحتاج إلى إثبات وإلا فغاية أمره أنه مشهور من الأحاديث الدالة على نزول القرآن على سبعة أحرف".

١ - ما جاء في الصحيحين بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"^(١).

٢ - وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن ابن شهاب الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن عبدالقاري أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره^(٢) في الصلاة، فصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: مَنْ أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ قلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت

(١) فتح الباري ٩/ ١٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٠١ .

(٢) أمسك به .

هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: "أرسله، اقرأ يا هشام" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: "كذلك أنزلت"، ثم قال: "اقرأ يا عمر" فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: "كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه" (١).

٣ - روى مسلم في صحيحه (٢) بسنده عن أبي بن كعب "أن النبي ﷺ كان عند أضاة (٣) بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق، ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبي حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا".

٤ - روى مسلم (٤) بسنده عن أبي بن كعب قال: "كنت في

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٩/ ١٩ - ٢٠، مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

(٢) (١/ ٥٦٢ - ٥٦٣) ح رقم ٨٢١ .

(٣) أضاة بفتح الهمزة وبضاد معجمة المستنقع كالغدير وجمعه أضاء كحصاة وحصاء وكانت

بموضع من المدينة ينسب إلى بني غفار لكونهم نزلوا عنده، والحديث أخرجه مسلم رقم ٨٢١ .

(٤) مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

المسجد، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنا أنظر إلى الله عز وجل فقال لي: "يا أباي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ".

٥ - وروى أحمد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأبي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه" إسناده حسن^(١).

هذا: والأحاديث في إثبات نزول القرآن على سبعة أحرف كثيرة مستفيضة، ذكر معظمها ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره^(٢).

(١) فتح الباري ٩ / ٢١ .

(٢) ٢٢ / ١ - ٦٧ .

المحور الثاني : مما يستخلص من الروايات الأمور التالية :

١ - لو نزل القرآن على حرف واحد لشق ذلك على الأمة العربية؛ فقد كانت متعددة اللغات واللهجات، وما يسهل النطق به على البعض لا يسهل على البعض الآخر، وكانت تغلب عليها الأمية فلا عجب أن حرص النبي ﷺ على الاستزادة من الحروف حيث بلغت سبعة أحرف .

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن أنزل القرآن على سبعة أحرف رفعاً للخرج، وتيسيراً لقراءته وحفظه .

٢ - إن هذه التوسعة إنما كانت في الألفاظ، ولم تكن في المعاني والأحكام، وأنها كانت في المعنى الواحد تقرأ بألفاظ مختلفة بدليل أن النبي ﷺ أقرّ كلاً من المختلفين على قراءته .

٣ - إن هذه التوسعة والإباحة في القراءة بأي حرف من الحروف السبعة إنما كانت في حدود ما نزل به جبريل وما سمعوه من النبي ﷺ وذلك بدليل أن كلاً من المختلفين كان يقول : أقرأنيها رسول الله ﷺ وأن النبي ﷺ كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله : هكذا أنزلت كما في حديث عمر وهشام .

ولا يتوهم أي إنسان أن التوسعة كانت باتباع الهوى، فذلك ما لا يليق أن يفهمه مسلم عاقل؛ إذ الروايات الواردة ترده وتبطله، ولو كان لكل أحد أن يقرأ بما يسهل له من غير تلق وسماع من النبي ﷺ

وأن يبدل ذلك من تلقاء نفسه لذهب إعجاز القرآن، ولكان عرضة أن يبدله كل من أراد، ولما تحقق وعد الله سبحانه بحفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١﴾ وكيف يتفق هذا الوهم الباطل مع قول الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَمْلِكُونَ لِيَّ أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي النَّفْسِ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ (يونس: ١٥-١٦).

٤ - أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف منها من غير إلزام بواحد منها، فمن قرأ بأي حرف منها فقد أصاب، بدليل قوله ﷺ في حديث عمر: "فاقرأوا ما تيسر منه" (١).

٥ - أن التوسعة على الأمة لم تكن في مبدأ الدعوة فحسب بل كانت بعد الهجرة وبعد أن دخل في الإسلام كثير من القبائل غير قريش فكانت الحاجة ماسة إلى هذا التسهيل وتلك التوسعة، يشهد لهذا حديث مسلم أن النبي ﷺ كان عند أضواء بني غفار وقد تقدم.

٦ - هذه التوسعة مظهر من مظاهر الرحمة والنعمة ولا ينبغي أن تكون مصدر اختلاف أو أن تكون مثيرة للشك، أو مضعفة لليقين، فقد حذرهم الرسول صلوات الله عليه من الاختلاف، كما في حديث ابن مسعود، ومن الشك في القرآن كما في حديث عمرو بن العاص:

(١) فتح الباري ٩/ ٢٣.

"فلا تماروا فيه" وفي رواية لابن جرير الطبري من حديث أبي جهم:
"فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر"^(١).

٧ - حرص الصحابة رضوان الله عليهم البالغ على القرآن وغاية تحوطهم في المحافظة عليه، ونفي الريب والتغيير والتبديل عنه، ويدل على هذا ما كان من الفاروق عمر رضي الله عنه مع هشام بن حكيم حتى همّ أن يأخذ بتلايبه وهو في الصلاة.

المحور الثالث: المراد بمعنى الأحرف السبعة:

اعلم أنه اختلف في ذلك اختلافاً كثيراً حتى أوصل السيوطي الأقوال في معناها إلى نحو أربعين قولاً^(٢).

وأنا أذكر بعضها فقط، ملخصاً ذلك من كتب الفن:

١ - القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر.

٢ - القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٤/١ .

(٢) الإتيقان ٤٥/١ .

العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم.

٣- القول الثالث: أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة من الأمر والنهي والوعد والوعيد، والجدل والقصص، والمثل، أو من الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال" (١).

٤ - القول الرابع: أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهي:

(١) اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعهما، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨) قرئ لأماناتهم بالجمع، وقرئ لأمانتهم بالإفراد، ورسمها في المصحف ﴿لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ يحتمل القراءتين لخلوها من الألف الساكنة، ومآل الوجهين في المعنى واحد فيراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية، ويراد بالإفراد الجنس الدال على معنى الكثرة، أي جنس الأمانة (٢).

(٢) اختلاف في وجوه الإعراب، كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي، وابن جرير ٦٩/١ بمعناه.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١/١٤٠.

(يوسف : ٣١) . قرأ الجمهور بالنصب على أن "ما" عاملة عمل ليس وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن، وقرأ ابن مسعود (ما هذا بشر) بالرفع على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون "ما" عمل ليس .

(٣) الاختلاف في التصريف: كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ: ١٩) قرئ بنصب "ربنا" على أنه منادى مضاف "وباعد" بصيغة الأمر وقرئ ربنا بالرفع، "وباعد" بفتح العين على أنه فعل ماض .
(٤) الاختلاف بالتقديم والتأخير: إما في الحرف كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسْ﴾ (الرعد: ٣١) . وقرئ (أفلم يأتيس) وإما في الكلمة كقوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (التوبة: ١١١) . بالبناء للفاعل في الأول وللمفعول في الثاني .

(٥) الاختلاف بالإبدال: سواء كان إبدال حرف بحرف كقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩) . قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون، أو إبدال لفظ بلفظ كقوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (القارعة: ٥) قرأ ابن مسعود وغيره (كالصوف المنفوش) .

(٦) الاختلاف بالزيادة والنقص: فالزيادة كقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة: ١٠٠) قرئ (من تحتها الأنهار) بزيادة من، وهما قراءتان متواترتان، والنقصان كقوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (البقرة: ١١٦) . بدون واو وقراءة الجمهور ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ بالواو .

(٧) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل، والإتمام ونحو ذلك .

كالإمالة وعدمها في مثل قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (طه: ٩) . قرئ بإمالة "أتى" "موسى" وترقيق الراء في قوله: ﴿خَيْرًا بَصِيرًا﴾ وتفخيم اللام في الطلاق، وتسهيل الهمزة في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وإشمام الغين ضمة مع الكسر في قوله: ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ (هود: ٤٤) .

٥ - القول الخامس: ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد، فلفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة والكمال في الأحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمئة في المئات، ولا يراد العدد المعين^(١) .

٦ - القول السادس: أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع .
وهناك أقوال كثيرة وقد رجع كثير من العلماء القول الأول في أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، ممن رجع هذا القول كبير المفسرين ابن جرير الطبري^(٢) وإليه ذهب سفيان بن عيينة، وابن وهب وخلائق، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء^(٣) .

(١) الإتقان ٤٥/١ .

(٢) ١٥/١ .

(٣) مباحث في علوم القرآن ١٦٢/١ .

واعلم أن أسباب النزول من مقتضيات نزول القرآن الكريم ولذلك لا بد من الكلام عليها كلاماً غير مطول لأنها تحتاج إلى بحث مستقل فنتناولها من النواحي التالية:

تعريف سبب النزول، العبارات التي تعد نصاً في سبب النزول، اعتناء الصحابة بمعرفة أسباب النزول.

فوائد أسباب النزول، هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ كذلك يلزم على معرفة نزول القرآن، الكلام على جمعه والاعتناء بحفظه والكلام على تواتره وشروط القراءة الصحيحة.

تعريف المكّي والمدني والكلام عليه كلاماً موجزاً من مظاهر العناية بالقرآن الكريم ونزوله والعناية بكتابته ورسمه.

الكلام على أسباب النزول

إن القرآن الكريم نزل لهداية البشر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم في العقائد والأحكام ومكارم الأخلاق، وأكثر القرآن نزل إلى هذه الأغراض النبيلة من غير سبب، وبعضه نزل مرتبطاً بأسباب خاصة.

فالصحابة رضي الله عنهم الذين عاشوا رسول الله ﷺ وعاشوا معه حياتهم قد تقع منهم حادثة تحتاج إلى بيان حكم الله فيها، وقد يسألون عن أشياء فينزل القرآن لذلك.

فسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متحدة عنه مبينة حكمه والمعنى أن حادثة وقعت أو سؤالاً وجه إلى النبي ﷺ فنزل الوحي ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، مثل حادثة خولة التي ظاهر منها زوجها فانزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (المجادلة: ١). واعلم أنه لا طريق لمعرفة سبب النزول إلا بالنقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم. قال الواحدي في أسباب النزول: "لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب".

فالمعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة، ومن أخذ عنهم من التابعين، ومعرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تختص بالقضايا، وكثيراً ما يجزم بعضهم بالسبب وربما لم يجزم بعضهم

بالسبب، فيقول: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، كما قال الزبير في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة النساء: ٦٥)، روى الشيخان في صحيحيهما^(١) عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون منها النخل، فقال الأنصاري سرح الماء يمر، فأبى عليه فاختمهما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك"، فغضب الأنصاري ثم قال: يا رسول الله ﷺ أن كان ابن عمك، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير: "يا زبير احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر" فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد أشار على الزبير رأياً^(٢).

وقول الصحابة في سبب النزول محمول على الرفع كما نص على ذلك أئمة المصطلح لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه، وبعيد كل البعد أن يقول الصحابي ذلك من تلقاء نفسه فعدالته تمنعه من ذلك، فذلك محمول على السماع أو المشاهدة.

أما قول التابعي في سبب النزول فله حكم الرفع إلا أنه مرسل، قد

(١) البخاري رقم ٢٣٦١ في كتاب المساقاة، مسلم برقم ٢٣٥٧. في كتاب الفضائل.

(٢) وانظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة النساء رقم ٤٥٨٥، أسباب النزول

للسيوطي ١٥/١.

يقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

واعلم أيها القارئ الكريم أن الصحابة كانوا علماء مجتهدين في معرفة سبب النزول، ولذلك جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو كنت أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"^(١).

(١) البخاري رقم ٥٠٠٢ في كتاب فضائل القرآن.

بعض فوائد أسباب النزول باختصار

(١) الاستعانة على فهم الآية وإزالة الإشكال عنها : قال الواحدي :
" لا يمكن معرفة الآية دون الوقوف على قصتها " . وقال ابن دقيق العيد :
" معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن " . وقال شيخ
الإسلام ابن تيمية في رسالته أصول التفسير^(١) : " معرفة سبب النزول
يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث معرفة المسبب " ولذلك
أمثلة كثيرة منها :

أ - أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أشكل عليه فرضية السعي
بين الصفا والمروة من قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ
حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (البقرة : ١٥٨) فقال : إن
الله نفى الجناح ونفى الجناح يدل على نفي الوجوب فسأل خالته عائشة
رضي الله عنها ، فقالت له : " إن سبب النزول أنه كان قبل الإسلام على
الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فلما جاء الإسلام
تخرج المسلمون من السعي بينهما فأنزل الله الآية رفعا للخرج " ^(٢) .

ب - قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ يَدْسُنْ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْلُ لَمْ يَحْضَنْ ﴾ (الطلاق : ٤) فقد أشكل معنى هذا الشرط

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١ / ١٧ ، أصول التفسير ١ / ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣ / ٣٩٢ .

على بعض الأئمة حتى نقل عن الظاهرية أن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب، وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول، وذلك أنه لما نزلت الآية التي في البقرة في عدد النساء قال الناس: بقي عدد من النساء لم تذكر عدتها، فحينئذ أنزل الله الآية فعلم منها أن حكم عدة اليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر، إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم عدتهن^(١).

ج - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَوَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) فلو تركت على ظاهرها لفهم منها أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، فلما علم أنها نازلة في صلاة النافلة، أو فيمن عميت عليه القبلة فصلى باجتهاده وبأن له الخطأ بعد ذلك زال الإشكال عنه.

د - ومن ذلك ما روي في الصحيح عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٨٨) قال مروان: لئن كان كل أحد فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون، حتى سأل ابن عباس عن ذلك، فقال له ابن عباس: إن هذه الآية نزلت في اليهود سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأروه أنهم أجابوه واستحمدوه لذلك^(٢).

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ١٣٨، الإنقان في علوم القرآن ١/ ٤٥ فما بعدها،

مباحث في علوم القرآن ١/ ٧٩ فما بعدها.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٢٣٣ مع الفتح.

(٢) من الفوائد دفع توهم الحصر: قال الشافعي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ... ﴾ الآية (المائدة : ١٤٥) قال : إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضادة والمحاددة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه ، نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلوى فتقول له : لا آكل اليوم إلا حلوى ، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه قال لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل ^(١) .

واعلم أيها القارئ الكريم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا إذا كان السبب خاصاً واللفظ عاماً ، فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها كآيات اللعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ... ﴾ (سورة النور : ٦-٩) . فيتناول الحكم المأخوذ من هذا اللفظ العام ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ غير حادثة هلال دون احتياج إلى دليل ، هذا هو الرأي الراجح والأصح وهو الذي يتفق مع عموم أحكام الشريعة والذي سار عليه الصحابة والمجتهدون من

(١) الإتيان ٢٥/١ وما بعدها، المدخل ١٣٠/١، مباحث في علوم القرآن ٧٩/١،

وما بعدها .

هذه الأمة^(١).

أما صيغة سبب النزول: فتارة تكون نصاً في سبب النزول، وتارة تكون محتملة؛ فتكون نصاً في سبب النزول فيما إذا قال الراوي سبب نزول هذه الآية كذا، أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلية على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال، كما إذا قال: "حدث كذا" أو سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت الآية، فهاتان صيغتان صريحتان في السببية وتكون الصيغة محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي: نزلت هذه الآية في كذا، فذلك يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أنه داخل في معنى الآية^(٢).

هذا: وقد يتعدد السبب والمنزل واحد، وذكر العلماء لذلك أربع حالات:

- ١- إما أن تكون إحدى الروایتين صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعول عليه ماصحت روايته.
- ٢- أن تكون كلتا الروایتين صحيحة، ولأحدهما مرجح.
- ٣- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح، وقد يمكن نزول الآية عقبهما.
- ٤- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح ولا يمكن

(١) مباحث في علوم القرآن ١/ ٨٤، مذكرة الأصول ١/ ٣٧٢، الشيخ محمد الأمين.

(٢) أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٥٩ - ٦١.

نزول الآية عقبهما .

(١) مثال الحالة الأولى : أن تكون إحدى الروایتین صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعتمد في السبب الصحيحة : أنه ﷺ اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءت امرأة فقالت : ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَأَلِيلَ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَآ لَكَ ۝٣﴾^(١) مع ما أخرجه الطبراني وابن أبي شعبة والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميرة عن أمه عن أمها، وكانت خادمة رسول الله ﷺ أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير ومات فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال : يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟ فقلت في نفسي : لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ فالمعتمد الرواية الأولى لأنها صحيحة أما الثانية وإن كانت مشهورة لكنها غير صحيحة لوجود الجهالة في سندها .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح^(٢) : " قصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح " .

(١) البخاري رقم ٤٩٥٠، مسلم برقم ١٧٩٧ الجهاد .

(٢) فتح الباري ٨ / ٥٨٠ .

(٢) مثال الحالة الثانية: وهي أن تكون كلتا الروايتين صحيحة ولأحدهما مرجح: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ثم قال: ﴿... قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥) (١).

مع ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل يريدون النبي ﷺ (٢).
فالأولى تدل على أن السائل اليهود، وأن نزولها بالمدينة، والثانية تدل على أن السائل الكفار وأنها نزلت بمكة، والرواية الأولى أرجح لأمرين:
أ - أنها من رواية البخاري.

ب - أن الراوي في الأولى وهو ابن مسعود حاضر للقصة ومشاهد لها، بينما ابن عباس الذي هو الراوي في الثانية لم يثبت أنه كان مشاهداً لها (٣).

(٣) مثال الحالة الثالثة: وهي أن تكون كل من الروايتين صحيحة، ولا يمكن الترجيح لكن يمكن نزول الآيتين عقب السببين

(١) البخاري برقم ١٢٥ في كتاب العلم، ومسلم برقم ٢٧٩٤ في صفة القيام.

(٢) الإتيقان ١/٣٣.

(٣) مسلم بشرح النووي ١٠/٢١٢٠.

لعدم العلم بالتباعد : ما أخرجه البخاري^(١) من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ : "البينة أو حد في ظهرك" . فقال : يا رسول الله إذا وجد أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول : "البينة وإلا حد في ظهرك" فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فأنزل الله ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ الآية . وأخرج البخاري^(٢) عن سهل بن سعد : أن عويمراً العجلاني هو الذي سأل النبي ﷺ عن ذلك، وأن الآية نزلت فيه .

فهاتان الروايتان صحيحتان : ويمكن الجمع بينهما بأن أول من سأل هلال ثم سأل عويمر قبل الإجابة ثم نزلت الآيات^(٣) .

(٤) مثال الحالة الرابعة : التي هي استواء الروائتين أو الروايات في الصحة، ولا مرجح مع عدم إمكان نزول الآية عقبها لتباعد الزمان فالحكم أن يحمل الأمر على تكرار النزول . مثال ذلك : ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال : "لأمثلن بسبعين منهم مكانك" فنزل جبريل

(١) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٧) .

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٥) .

(٣) انظر : فتح الباري (٨ / ٣٠٤ - ٣٠٥) .

بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ (النحل: ١٢٦) مع ما أخرج الترمذي والحاكم عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لعن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربن عليهم. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا...﴾ الآية. قال في المدخل: "فالأولى تفيد أن الآيات نزلت عقب أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم الفتح، وبين الفتح وأحد حوالي خمس سنين". إلى أن قال: "فلا مناص من القول بتعدد النزول مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح" (١).

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ١٣٨، مباحث في علوم القرآن ١/ ٨٧ - ٩٠، مناهل العرفان ١/ ١٠٦ فما بعدها.

أول ما نزل من القرآن و آخر ما نزل منه

اعلم أيها القارئ الكريم أن المتكلم في موضوع نزول القرآن لابد أن يتكلم على أول ما نزل وآخر ما نزل لتعلق هذا الموضوع بالنزول، وعليه فإن العلماء بحثوا هذا الموضوع بحثاً واسعاً لأهميته وأنا أتكلم فيه من النواحي التالية:

- ١ - أول ما نزل مطلقاً.
- ٢ - آخر ما نزل مطلقاً.
- ٣ - أوائل مقيدة.
- ٤ - أواخر مقيدة.
- ٥ - بعض فوائد هذا النوع.

أول ما نزل من القرآن مطلقاً

ذكر العلماء في ذلك أربعة أقوال:

(١) أول ما نزل قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ (العلق: ١-٥).

من الأدلة على هذا القول:

أ - ما رواه البخاري ومسلم^(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في

(١) البخاري ٣/١، ومسلم ٩٨/١، البرهان ٢٩٣-٣٠٠، والإتقان ٦٨/١-٧٦،

٧٧، ٨١، وورد في مسند أحمد ٦/٢٣٢-٢٣٣، أسباب النزول للواحدي ٤٨/١.

النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: "اقرأ" قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق" إلخ.

ب - روى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائل النبوة وصحاحه عن عائشة أنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ومرادها بالسورة صدرها^(١).

(٢) القول الثاني: أن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ...﴾ إلى قوله... ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ١-٥) وهذا القول مروى عن جابر بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومن الأدلة على هذا القول: ما رواه الشيخان -واللفظ للبخاري- عن يحيى بن أبي كثير: قال سألت أبا سلمة ابن عبد الرحمن أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ فقلت أنبئت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ فقلت نبئت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فقال: "لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله

(١) الإتيان في علوم القرآن ٦٨/١ .

ﷺ : جاورت في حراء فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو -يعني جبريل- بين السماء والأرض فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فقلت "دثروني" فأنزل الله يأيها المدثر" (١).

وأجاب أهل القول الأول عن هذا بأجوبة أحسنها: أن ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ أول ما نزل بعد فترة الوحي، أما اقرأ فهي أول ما نزل على الإطلاق (٢).

(٣) القول الثالث: أن أول ما نزل سورة الفاتحة، وقد عزا هذا القول الزمخشري في كشافه (٣) إلى أكثر المفسرين، ورد عليه الحافظ ابن حجر (٤) بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل. من أدلة هذا القول: ما رواه البيهقي في دلائل النبوة والواحي بسنده عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: "إني إذا خلوت (٥) وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً" فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك؛ فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وتصديق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة

(١) البخاري ٣/١ ومسلم ٩٩/١٢ .

(٢) الإتيقان ٦٨/١، المدخل ١٠٤/١ .

(٣) مستدرک الحاكم ٢/٢٤٠ رقم ٢٨٧٣ .

(٤) فتح الباري ٨/٥٥٠ - ٥٥١ .

(٥) القرطبي ١/١١٥ ، وعزا للبيهقي في الدلائل .

حديثه له وقالت : اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل فانطلقا فقصا عليه فقال : إذا خلوت وحدي سمعت نداء من خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هارباً في الأفق فقال : لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائمني فأخبرني فلما خلا ناداه : يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال العلماء^(١) : والجواب عن هذا الحديث أنه مرسل لا يعارض القول الأول .

(٤) القول الرابع : إن أول ما نزل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ دليل هذا القول ما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وأول سورة ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ قال السيوطي : وعندني أن هذا القول لا يعد قولاً برأسه فإن من ضرورة نزول السورة نزول البسملة .

واعلم أن هذه الآثار والأحاديث لا تنهض لمعارضة حديث عائشة الذي هو في الصحيح الدال على أن أول ما نزل ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ .
آخر ما نزل من القرآن مطلقاً

اعلم أيها القارئ الكريم أنه ليس في هذا الموضوع أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ يمكن التحاكم إليها ، وكل ما فيه آثار مروية عن بعض الصحابة والتابعين استنتجوها من مشاهداتهم للنزول ، وملايسات الأحوال ، فقد

(١) الإثقان ٦٩/١ ، المدخل ١٠٤/١ .

يسمع أحدهم ما لا يسمع الآخر، ويرى ما لا يراه غيره، ومن هنا كثر الاختلاف في هذا الموضوع ولنكتفٍ بالبعض فقط على النحو التالي :

(١) القول الأول : أن آخر ما نزل قوله تعالى في آخر سورة البقرة :

﴿ وَأَتَقُوا أَيَّامًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨١) .

من الأدلة على هذا القول :

ما رواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَأَتَقُوا أَيَّامًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية وروى ابن مردويه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت من القرآن ﴿ وَأَتَقُوا أَيَّامًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول .

وذكر البغوي في تفسيره^(١) عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ فقال جبريل : ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله ﷺ أحدًا وعشرين يومًا .

وروى الألوسي في تفسيره^(٢) عند هذه الآية أنه قال : -يعني رسول الله ﷺ- : " اجعلوها بين آية الربا وآية الدين " .

(١) البغوي ١/ ٣٤٧ ، المدخل ١/ ١٠٧ ، الإتيقان ١/ ٧٧ ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/ ٢٠٥ ، البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن .

(٢) الألوسي ١/ المجلد الأول ج ٢/ ٥٥ .

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: "جاءني جبريل فقال اجعلوها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة".

قال في المدخل^(١): "وهذا الرأي هو أرجح الآراء والأقوال وهو الذي تركز إليه النفس للأسباب التالية:

١ - لم يحظ قول من الأقوال الآتية بما حظي به هذا القول من الآثار وأقوال الأئمة.

٢ - ما تشير به هذه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر والرجوع إلى الله ليوفي كلاً جزاء عمله، وهو أنسب بالختام.

٣ - ما ظفر به هذا القول من تحديد الوقت بين نزولها ووفاة النبي ﷺ ولم يظفر قول بهذا التحديد".

(٢) القول الثاني: أن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨).

ويدل لهذا القول ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: وآخر آية نزلت آية الربا^(٢).

والحق الأول: ويجاب عن هذا القول إما بأنها آخر آية نزلت في شأن الربا، وإما أنها من آخر الآيات نزولاً.

(٣) القول الثالث: أن آخر آية نزلت آية الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

(١) ١١/١.

(٢) البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن.

تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴿٢٨٢﴾ (البقرة: ٢٨٢) وهي أطول آية في القرآن. ومن أدلة هذا القول ما أخرجه ابن جرير^(١) من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين، مرسل صحيح الإسناد. ويجاب عنه بأنها آخريّة مقيدة، فهي آخر ما نزل في باب المعاملات.

هذا: وقد جمع السيوطي في الإتقان بين هذه الأقوال الثلاثة فقال: "ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، وآية واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، وآية الدين؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأن موضوعها واحد، فأخبر كل واحد عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح".

وقد جمع الحافظ بين القولين بأن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن، كما رجح أن آية "واتقوا يوماً..." هي الأليق بالختام.

(٤) القول الرابع: آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ (النساء: ١٧٦) وآخر ما نزل من السور براءة، ويدل على هذا ما رواه البخاري ومسلم^(٢) عن البراء بن عازب أنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٦).

(١) ابن جرير الطبري في تفسيره .

(٢) البخاري ٤٣٦٤ المغازي، مسلم ١٦١٨ الفرائض، أحمد ٨١٦٤ .

يجاب عن هذا بأن سورة براءة آخر ما نزل في شأن القتال والجهاد .

(٥) القول الخامس : أن آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٩٣) ويدل لهذا القول ما رواه البخاري ^(١) عن سعيد بن جبير قال : آية اختلف فيها أهل الكوفة ، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسأله عنها ، فقال : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ ، هي آخر ما نزل ، وما نسخها شيء . والجواب أنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمداً ، فهي آخريه مقيدة .

(٦) القول السادس : أن آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (براءة : ١٢٨) . إلى آخر سورة براءة . من الأدلة على هذا القول ما رواه الحاكم في المستدرک عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة ^(٢) .

قال في الإتيان " وروى ابن مردويه عن أبي أيضاً قال : آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ " . ويجاب عنه أنهما آخر ما نزل من سورة براءة .

(٧) القول السابع : آخر ما نزل سورة المائدة من الأدلة على هذا

(١) البخاري رقم ٤٥٩٠ تفسير القرآن ، مسلم رقم ٣٠٢٣ التفسير .

(٢) المستدرک ٣٣٨ / ٢ ، والدر المنثور ٢٩٥ / ٣ .

القول ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : آخر سورة نزلت المائدة^(١) فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه .

ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام .

(٨) القول الثامن : آخر سورة نزلت ﴿ إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

قال في الإتيقان رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس ، ورواه النسائي أيضاً عنه ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت بتمامها .

قال في المدخل : " وقد عرفت أن القول الأول هو الصحيح الراجح وعرفت الإجابة عما ورد مخالفاً له وأن المراد أواخر مقيدة لا مطلقة " ^(٢) .

الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة

هذا البحث كثير ، ولهذا يكتفى فيه بذكر نماذج من الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة ، حسب ما ذكره العلماء فأقول : أول آية نزلت في الخمر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (البقرة : ٢١٩) .

أول ما نزل في الجهاد قوله تعالى : ﴿ أُوْذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٣٩ - ٤١) .

أول ما نزل في شأن القتل آية الإسراء وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا

(١) الترمذي رقم ٣٠٦٣ كتاب التفسير .

(٢) المدخل ١/ ١٢٢ ، الإتيقان ١/ ٧٧ ، وما بعدها .

الْأَنفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿ (الإسراء: ٣٣) .

نماذج من الأواخر المقيدة

١ - آخر ما نزل في تحريم الخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - إلى قوله - فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١) .

٢ - آخر آية نزلت في شأن القتل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣) .

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل

اعلم أن هذا المبحث لا مجال للعقل فيه، إلا بالترجيح بين الأدلة وجمع المتعارض إن وجد، والمدار فيه على النقل، ولمعرفته فوائد نلخص بعضها فيما يلي:

(١) معرفة الناسخ والمنسوخ: فيما إذا وردت آيتان أو أكثر في موضع واحد وحكم إحداهما يغاير الآية الأخرى تغايراً لا يمكن معه الجمع فنلجأ حينئذ إلى معرفة المتقدم فيعلم أنه منسوخ بالتأخر.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي: وذلك مثل ما إذا عرفنا أن الآيات التي فيها الأمر بالصلاة نزلت بمكة قبل الهجرة، وأن الآيات التي فيها الأمر بالزكاة والصوم كانت في السنة الثانية للهجرة بالمدينة المنورة، وأن

آيات الحج نزلت في السنة السادسة على الراجح كان بالإمكان ترتيبها ترتيباً شرعياً فنقول: أول ما فرض الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج . وكذلك إذا علم أن آية: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩) نزلت بالمدينة في السنة الثانية علم أن الجهاد فرض في المدينة في السنة الثالثة وهكذا .

(٣) من الفوائد كذلك : معرفة التدرج في التشريع ويتوصل به إلى معرفة حكمة الله في أخذ الشعوب بهذه السياسة الحكيمة في الإسلام، وذلك مثل ما إذا عرفنا ترتيب الآيات التي نزلت في شأن الخمر، ومثل ما إذا علمنا أن الآيات الداعية إلى أصول العقائد، نزلت أولاً بمكة، بخلاف الآيات النازلة في الأحكام التشريعية التفصيلية والعملية، فإنها نزلت بالمدينة، فإنه ما لم تعرف الأصول ويطمأن إليها، لا يسهل الأخذ بالفروع^(١).

(تنبيه)

قال السيوطي: "قد يشكل على ما تقدم في آخر ما نزل مطلقاً قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وظهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنه وارد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك . وقد

(١) المدخل ١/١٠١، الإتيقان ١/٢٧٧، مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠ فما بعدها.

استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم بالبلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه، حتى حَجَّه المسلمون لا يخالطهم المشركون" (١).

قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الإتيان ٧٧/١ فما بعدها، والمدخل ١٠١/١ فما بعدها.

الخاتمة

وهي عبارة عن بعض النتائج التي توصل إليها الباحث مع اقتراح يقترحه .

١ - النتيجة الأولى : أن نزول القرآن الكريم من أهم موضوعات علوم القرآن بل كل موضوعاته الأخرى مبنية على نزول القرآن الكريم .

٢ - النتيجة الثانية : أن علوم القرآن الكريم فناً مدوناً مستقلاً بنفسه بهذا اللقب ما كان معروفاً في العصور الأولى .

٣ - النتيجة الثالثة : أن أول ظهور لهذا الفن، مدوناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠هـ في كتابه البرهان في علوم القرآن .

٤ - النتيجة الرابعة : أن العلماء اختلفوا في تعريف القرآن، وأحسن تعاريفه، كما عرفه في المراقي " أنه اللفظ المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بالفاظه ومعانيه " .

٥ - النتيجة الخامسة : أن القرآن معجز بلفظه ومعناه، وأن النظام ومن شايعه القائلين بالصرفه قولهم ضعيف مردود .

٦ - النتيجة السادسة : أن القرآن الكريم أنزل مرتين، مرة جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، ومرة أنزل مفراً منجماً على حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة .

٧ - النتيجة السابعة : أن لنزول القرآن الكريم مفراً حكماً كثيرة

كما ذكر بعضها في ثنايا البحث .

٨ - النتيجة الثامنة: أن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ثابت حيث ورد بروايات صحيحة لا مطعن فيها، وأنه يدل على التيسير بهذه الأمة واللفظ بها مع أن معنى الحديث من المشكل المختلف فيه بين العلماء .

٩ - النتيجة التاسعة: أن القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام بل كله أوحى به في اليقظة وحيا جلياً .

١٠ - النتيجة العاشرة: أن الكتب السماوية غير القرآن الكريم كالتوراة والإنجيل نزلت جملة واحدة، ولم تنزل مفرقة .

١١ - النتيجة الحادية عشرة: أن المعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين، لا غير .

١٢ - النتيجة الثانية عشرة: أن معرفة سبب النزول طريق قوي ومعين على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها وله فوائد جمة .

١٣ - النتيجة الثالثة عشرة: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جماهير العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين .

١٤ - النتيجة الرابعة عشرة: أن أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ صدر سورة ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

١٥ - النتيجة الخامسة عشرة: أن آخر ما نزل من القرآن الكريم على

النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ .

أما الاقتراح الذي أقترحه : فهو أن يؤلف المسلمون هيئة عليا من العلماء والقادة، للدفاع عن القرآن الكريم وحقوقه بحيث يكون للهيئة مقر ثابت في إحدى الدول الإسلامية، كالهيئات العالمية الأخرى .

فهرس المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر:
للدكتور فهد بن سليمان الرومي، (بدون مكان طبع) (١) ١٤٠٧هـ.
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن:
لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة ط (٣) ١٤٠٥هـ.
- ٣- أحكام القرآن:
لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)
تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:
لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).
- ٥- أسباب النزول:
لأبي حسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تخريج عصام ابن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام ط (٢) ١٤١٢هـ.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:
لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) طبع

وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٣هـ.

٧- إعجاز القرآن:

لأبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة ط (٥)، ١٤٠١هـ.

٨- البرهان في علوم القرآن:

لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي وزميله، دار المعرفة - بيروت ط (١) ١٤١٠هـ - ومصورة دار المعرفة - بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بدون تاريخ).

٩- التبيان في آداب حملة القرآن:

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مطبوعات جمعية القرآن الكريم - جدة ط (٢)، ١٤٠٨هـ.

١٠- تفسير التحرير والتنوير:

لمحمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، دار التونسية - تونس ١٤٠٤هـ.

١١- تفسير القرآن العظيم:

لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، نشر:

مكتبة المعارف - الرياض ط (١) ١٤٠٦ هـ.

١٢- التفسير والمفسرون :

للدكتور محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٧ هـ) ، دار الكتب
الحديثة - القاهرة ، ط (٢) ١٣٩٦ هـ.

١٣- تناسق الدرر في تناسب السور :

لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١ هـ) تحقيق :
عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط (١) ١٤٠٦ هـ.

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) مركز صالح بن صالح
الثقافي - عنيزة ط (١) ١٤٠٧ هـ.

١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة ط (٣) ١٣٨٨ هـ.

١٦- جامع الترمذي :

لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩ هـ) ، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ط (٢) ١٣٩٨ هـ.

١٧- الجامع لأحكام القرآن :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١ هـ) دار
إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ) .

- ١٨- حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده وامتته واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية:
للدكتور عبد العزيز القارئ، دار النشر الدولي - الرياض ط (١)،
١٤١٢هـ.
- ١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور:
لأبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار
الفكر - بيروت ط (١) ١٤٠٣هـ.
- ٢٠- دلائل النبوة:
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب
العلمية - بيروت ط (١)، ١٤٠٥هـ.
- ٢١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني:
لأبي الثناء محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث
العربي - بيروت (بدون تاريخ).
- ٢٢- روضة الناظر وجنة المناظر:
لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)،
دار الكتاب العربي - بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.
- ٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة:
لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي -
بيروت.

٢٤- سنن أبي داود:

لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبید الدعاس وعادل السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط (١)، ١٣٨٨هـ.

٢٥- صحيح البخاري:

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ضبط وترقيم وعناية: د. مصطفى البغا، دار القلم - دمشق - بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.

٢٦- صحيح مسلم:

لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٢٧- صحيح مسلم شرح النووي:

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ).

٢٨- طبقات المفسرين:

لأبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة - القاهرة ط (١) ١٣٩٦هـ.

٢٩- طبية النشر في القراءات العشر:

لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) مراجعة وتحقيق: علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، ط (١) ١٣٦٩هـ.

٣٠- علوم القرآن:

للدكتور عدنان زرزور، المكتب الإسلامي - بيروت، ط (٢) ١٤٠٤هـ.

٣١- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة:

للدكتور حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان - المدينة ط (١) ١٤٢٠هـ.

٣٢- غاية المنتهى في طبقات القراء:

لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره: ج. برجستراسر دار الكتب العلمية - بيروت ط (٣) ١٤٠٢هـ.

٣٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري:

لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان - القاهرة، ط (١) ١٤٠٧هـ.

٣٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:

لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

- ٣٥- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن :
- لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) تحقيق :
د / حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط (١)
١٤٠٨هـ.
- ٣٦- القاموس المحيط :
- لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق :
مكتب التراث في مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) ١٤٠٧هـ.
- ٣٧- قرّة الأبصار في سيرة المشفع المختار : (خ)
للمطّي عبد العزيز بن عبد العزيز الفاسي (ت : نحو ٨٨٠هـ).
- ٣٨- الكشف عن حقائق التنزيل :
- لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) مكتبة
المعارف - الرياض (بدون تاريخ).
- ٣٩- لباب النقول في أسباب النزول :
- لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت : ٩١١هـ) دار
إحياء العلوم - بيروت ط (٤) ١٤٠٦هـ.
- ٤٠- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير :
- د / محمد الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت (بدون تاريخ).
- ٤١- مباحث في علوم القرآن :
- للدكتور صبحي الصالح (ت : ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين -
بيروت، ط (١٦) ١٤٠٥هـ.

٤٢- مباحث في علوم القرآن :

لمناع خليل القطّان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢١)
١٤٠٧هـ.

٤٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية :

جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، توزيع
رئاسة شؤون الحرمين - مكة المكرمة، مصورة عن الطبعة الأولى /
١٣٩٨هـ.

٤٤- محاسن التأويل :

لمحمد جمال الدين القاسمي (ت : ١٣٣٢هـ) تحقيق : محمد فؤاد
عبد الباقي، دار الفكر - بيروت ط (٢) ١٣٩٨هـ.

٤٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :

لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت : ٥٤٦هـ)،
تحقيق : المجلس العلمي بفاس عام ١٤١٣هـ.

٤٦- مختار الصحاح :

لأبي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت : بعد ٦٦٠هـ)
مكتبة لبنان - بيروت، ١٤٠٩هـ.

٤٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم :

د / محمد بن محمد أبو شهبه (ت : ١٤٠٣هـ) مكتبة السنة -
القاهرة ط (١) ١٤١٢هـ.

٤٨- مذكرة أصول الفقه :

محمد الأمين بن المختار الشنقيطي (ت : ١٣٩٣ هـ) دار القلم -
بيروت (بدون تاريخ) .

٤٩- مراقي السعود :

لسيدي عبد الرحمن بن حاج إبراهيم (ت : ١٢٣٣ هـ) طبعة فضالة
- المغرب .

٥٠- المستدرك على الصحيحين :

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت : ٤٠٥ هـ) تحقيق : مصطفى
عبد القادر عطا ، توزيع مكتبة الباز - مكة المكرمة ط (١) ١٤١١ هـ .
٥١- مسند الإمام أحمد :

لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) دار صادر -
بيروت (بدون تاريخ) .

٥٢- معالم التنزيل :

لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٦ هـ) تحقيق :
محمد عبد الله النمر وزميليه ، دار طيبة - الرياض ١٤٠٩ هـ .

٥٣- مفردات ألفاظ القرآن :

لأبي القاسم الحسين بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت :
في حدود ٤٢٥ هـ) تحقيق : صفوان عدنان داودي . دار القلم - دمشق
ط (١) ١٤١٢ هـ .

٥٤- مقدمة في أصول التفسير:

لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تیمیة (ت: ٧٢٨هـ)، تحقیق: د/عدنان زرزور، دار القرآن الکریم - بیروت ط (٣)، ١٣٩٩هـ.

٥٥- مناهل العرفان في علوم القرآن:

لمحمد عبد العظیم الزرقانی (ت: ١٣٦٧هـ) دار إحياء التراث العربی - بیروت (بدون تاریخ).

٥٦- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع: لإبراهیم المارغنی (ت: ١٣٤٩هـ). (بدون تاریخ).

٥٧- النکت والعیون: تفسیر الماوردي:

لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقیق: خضر محمد خضر، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية ط (١) ١٤٠٢هـ.

الفهرس

خططة البحث.....	٩
المقدمة : من مقتضيات النزول.....	١١
التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ.....	١٥
التعريف بعلوم القرآن فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح.....	٢١
متى بدأ النزول وكم كانت مدة النزول؟.....	٢٣
الحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء.....	٣٠
كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل؟.....	٣٦
نزول القرآن مفزاً (منجماً).....	٣٧
نزول الكتب السماوية الأخرى.....	٣٩
الحكم التي تستفاد من نزول القرآن مفزاً منجماً.....	٤١
الكلام في نزول القرآن على سبعة أحرف.....	٥٠
الكلام على أسباب النزول.....	٦١
بعض فوائد أسباب النزول باختصار.....	٦٤
أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه.....	٧٢
الخاتمة.....	٨٤
فهرس المصادر و المراجع.....	٨٧
الفهرس.....	٩٧

المَقَوِّمَاتُ الشَّخْصِيَّةُ لِمَعْلَمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إعداد

د. حازم بن سعيد حمير

الباحث بمركز الدراسات القرآنية
بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد :

فيعدُّ المدرس هو الأداة الفاعلة والعنصر الرئيس في نطاق التعليم والتربية، ومعرفة الصفات التي ينبغي أن يتحقق بها ويرتقي إليها، تمكننا من الوقوف على الدور الهام والحساس الذي يمكنه أن يصنعه .

ونجد أن من بواكير الاهتمام بمعلم القرآن الكريم بعث عثمان -رضي الله عنه- قراءاً مع المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار ؛ لتكون المصاحف قدوة لأهل تلك الديار، يأتمون بها في قراءتهم وصلواتهم، وليكون القارئ المبعوث معلماً لعامة أهل كل مصر القراءة وفق مصحفهم .

وإن جاز أن تؤخذ بعض العلوم بلا معلّم، فإن هذا الأمر لا يمكن حصوله أبداً في تعلّم قراءة القرآن الكريم ؛ لأن تعلمه متوقف على العرض والتلقي والمشافهة والإسناد، فلا بدّ فيه من معلّم يرجع إليه .

« قيل لأبي حنيفة - رحمه الله - : في المسجد حلقة ينظرون في الفقه، فقال : ألهم رأس ؟ قالوا : لا، قال : لا يفقه هؤلاء أبداً ! »^(١)، هذا مع الفقه فكيف مع القرآن ؟ !

ويتناول هذا البحث قِوامة معلم القرآن الكريم، وصفاته الذاتية، والعلمية، والتربوية، التي تؤهله للمشاركة بمقومات شخصية تميزه في درب خيرية تعلّم القرآن وتعليمه، دون التطرق لأهداف التعليم القرآني، أو طرائقه، أو أخلاق طلاب الحلق^(٢) القرآنية، وغيرها من الآداب التي ينبغي توافرها في عملية التعليم .

والصفات التي يتحدث عنها البحث، هي بعض من صفات لازمة، ينبغي تحقيقها في معلم القرآن الكريم، وهي غير مقصورة على المتصدي للتعليم في الحلقات، بل هي متأكدة في حق كل متعاط لهذه العملية الشريفة، بصورة جماعية، أو فردية .

وذلك أن المعلم هو محور التعليم والدرس والتربية، فمهما وُضعت من مناهج متقنة، وهُيئت من ظروف ملائمة، ووُفرت من وسائل معينة، فكل ذلك لا يغني عن الأداة الفاعلة في العملية التعليمية، وهو المدرس الكفاء في الموقع المناسب ؛ لأن عناصر التعليم قد تكون في غاية المواصفات المتقنة، لكنها تنحدر وتهبط على يد المدرس غير المؤهل، أو توجهه من قبله توجيهاً نافراً، أو تهمل ولا يفاد منها .

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم : ٤٦ .

(٢) كانت تسمى إلى وقت قريب بالكتاتيب، ويطلق عليها في معظم البلدان

الإفريقية « خلاوي »، وفي بعض بلدان المغرب « حذقات »، وفي موريتانيا « محاطر » .

فلا غرو أن تكون دراسات جادة في تأصيل شخصية المعلم، وبيان دوره الفعال .

ولقد حرص الخلفاء وعلية القوم ووعاة الناس - قديماً - على اختيار المدرس الناجح لأبنائهم، ونجد - اليوم - في عالم الناس من يحرص على التحاق ولده في المدرسة النموذجية، التي فيها نخبة من المدرسين الأكفاء ؛ لأن ثمرة التعليم وجناه مترتبة على تأهل المدرس بالصفات اللائقة، وأخذه بها في مسيرته المباركة .

إن تأهيل المدرس بالمقومات التي تصل به إلى المستوى المناسب من إقامة الدين - وهو أحد حملته ونقلته -، فالطلاب عيونهم مفتوحة على هذا الوجه، فيحسنون ما حسن، ويعيبون ما قبح، وقد يتأثر التلميذ - أحياناً - بمدرسه أكثر مما يتأثر بوالده، والطبع - كما يقال - سراق ؛ لذلك ربط بعض السلف بين العلم والدين، وكانوا يتعلمون من معلمهم - أيضاً - الدلّ والسمت والخلق .

ويسهم هذا البحث إسهاماً متواضعاً في بيان بعض الصفات الأساسية لمعلم القرآن الكريم، ويشير إلى وسائل مفيدة - أيضاً - لمدرس القراءات القرآنية من باب التتميم والإفادة .

١ - فضل تعلم القرآن وتعليمه ، وعناية السلف به :

إن الاشتغال بكتاب الله العظيم حفظاً، وفهماً، وعملاً، وتعليماً من أفضل القربات وأزكاها عند الله، وقد بُعث النبي ﷺ رسولاً يتلو آيات الله ؛ معلماً ومزكياً لنفوس الصحب الكرام، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة : ٢) .

وحت عليه الصلاة والسلام على الوصاة بكتاب الله^(١)، وقال : « خيركم من تعلّم القرآن وعلمه »^(٢) .

قال أبو عبد الرحمن السلمي -راوي الحديث عن عثمان رضي الله عنه- : « فذلك الذي أقعدني مقعدي هذا » ، فكان يُعلّم من خلافة

(١) كما في حديث طلحة بن مصرف قال : « سألت عبد الله بن أبي أوفى أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ، أمروا بها ولم يوص ؟ ، قال : أوصى بكتاب الله » رواه البخاري (٥٠٢٢) (فتح الباري : ٨ / ٦٨٥) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٧) (الفتح : ٨ / ٦٩٢) ، وأبو داود (١٤٥٢) سنن أبي داود : ٢ / ١٤٧ ، والترمذي (تحفة الأحوذى : ٨ / ٢٢٢) ، والنسائي في فضائل القرآن : ٨٧ ، وغيرهم .

عثمان إلى إمرة الحجاج^(١) .

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - ، قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان^(٢) ، أو إلى العقيق^(٣) ، فيأتي منه بناقتين كوماوين^(٤) ، في غير إثم ولا قطع رحم ؟ » ، فقلنا : يا رسول الله نحب ذلك ، قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل »^(٥) .

ومما يدل على حرص السلف على تعلم القرآن وعنايتهم به ما ذكره

(١) أخلاق حملة القرآن للآجري : ١٩ . ويرى ابن كثير أن مدة تعليمه القرآن استمرت سبعين سنة، وذهب ابن الجزري إلى أنها أكثر من أربعين سنة . انظر فضائل القرآن لابن كثير : ٦٤ ، والنشر في القراءات العشر : ١ / ٣ . وقال الحافظ ابن حجر : « بين أول خلافة عثمان وآخر ولاية الحجاج اثنتان وسبعون سنة إلا ثلاثة أشهر، وبين آخر خلافة عثمان وأول ولاية الحجاج العراق ثمان وثلاثون سنة، ولم أقف على تعيين ابتداء إقراء أبي عبد الرحمن وآخره، فالله أعلم بمقدار ذلك » . فتح الباري : ٨ / ٦٩٥ .

(٢) من أودية المدينة الرئيسية، يسيل من جنوبها، ويلتقي مع وادي العقيق شمالاً . انظر المعالم الأثرية في السنة والسير : ٤٩ - ٥٠ .

(٣) أشهر أودية المدينة الشريفة، وهو واد مبارك .

(٤) الناقة الكوماء : مشرفة السنام عاليته . (النهاية لابن الأثير : ٤ / ٢١١) .

(٥) رواه مسلم (٨٠٣) صحيح مسلم : ١ / ٥٥٢ - ٥٥٣ .

أبو هريرة - رضي الله عنه - لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر، وسرقة الشيطان منها ثلاث ليال، من قول الشيطان له: «دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها» يقصد آية الكرسي، قال الراوي: «وكانوا أحرص شيء على الخير»^(١).

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يُشغَل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن»^(٢).

قال أبو الفضل الرازي: «وعلى الحفظ والتحفظ»^(٣) كان الصدر الأول ومن بعدهم، فرمما قرأ الأكبر منهم على الأصغر سناً وسابقة، فلم يكن الفقهاء منهم، ولا المحدثون، والوعاظ، يتخلفون عن حفظ القرآن والاجتهاد على استظهاره، ولا المقربون منهم عن العلم بما لم يسعهم جهله منه»^(٤).

٢ - نشأة التخصص في الإقراء :

ظهر التخصص في القراءة من عصر النبوة، بقوله ﷺ: «استقروا

(١) فتح الباري : ٤ / ٥٦٨ .

(٢) رواه أحمد في المسند ٣٢٤/٥ ، (وانظر: الفتح الرباني : ٩/١٨) .

(٣) وهو بذل الجهد في حفظ القرآن، طائفة بعد طائفة .

(٤) فضائل القرآن وتلاوته وخصائص ثلاثه وحملته : ٣٣ .

القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب»^(١)، وقال عن أبي رضي الله عنه : «أقرؤهم أبي بن كعب»^(٢)، وقال عمر: «أقضانا علي، وأقرؤنا أبي»^(٣).

وبعث النبي ﷺ إلى رِعل وذكوان وعصية وبني لحيان سبعين رجلاً من الأنصار، قال أنس - رضي الله عنه - : « كنا نسميهم القراء في زمانهم »^(٤).

قال الحافظ ابن حجر : « قد بين قتادة في روايته (أي عن أنس) أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، وفي رواية ثابت : ويشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن بالليل ويتعلمون »^(٥).

وكان أخذ الصحابة القرآن الكريم من النبي ﷺ على طبقتين : أ - طبقة أخذت عنه مباشرة كابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وأبيّ، وزيد، وغيرهم من الكثيرين .

(١) رواه البخاري (٣٧٥٨) (الفتح : ١٢٧/٧)، والحاكم في المستدرک : ٢٢٥/٣، وصححه، ووافقه الذهبي، وغيرهما .

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى : ٢٩٤/١٠)، وابن ماجه (١٥٤) في السنن : ٥٥/١ .

(٣) رواه البخاري (٤٤٨١) (الفتح : ١٧ / ٨)، وأحمد في المسند : ٥ / ١١٣ .

(٤) رواه البخاري (٤٠٩٠) (الفتح : ٧ / ٤٤٥) .

(٥) فتح الباري : ٧ / ٤٤٧ .

ب - طبقة أخذت عن الصحابة كابن عباس، وعبد الله بن السائب، وغيرهم من صغار الصحابة رضي الله عن الجميع .
ومضى الأمر في المئة الأولى الهجرية على أن عامة الناس يقرؤون بما في المصاحف الموجهة إليهم، وفق ما أقرأهم الصحابة والتابعون .
ثم اشتهر بعد ذلك طائفة من القراء تجردوا للقراءة، واعتنوا بضبطها أتم عناية، وداوموا عليها فنسبت لهم، وأضيفت إليهم، قال الداني :
« وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد »^(١).

ثم كان عمل أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بابن مجاهد البغدادي (ت : ٣٢٤ هـ)، معلماً بارزاً في تاريخ الإقراء ؛ إذ انتخب قراءة سبعة من قراء الأمصار - وهي مكة والمدينة، والكوفة والبصرة، والشام -، وهي الأمصار التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره، والحديث، والفقه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

وقد استقلت بعض البلدان بكتب خاصة في علم القراءة، فبعد المئة الخامسة الهجرية، اشتهرت الشاطبية في الشام، واشتهر كتاب « العنوان في القراءات السبع » لأبي طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري

(١) مقدمة « جامع البيان في القراءات السبع » : ٦١، ونحوه في النشر لابن

الجزري ١/ ٥٢.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ١٣ / ٣٩٠ .

(ت: ٤٥٥ هـ)، بمصر، وانتشر كتاب « الإرشاد » للقلانسي

(ت: ٥٢١ هـ) في العراق، ونظمه كثير من أهل بغداد وواسط^(١).

ويظهر أن أهل المغرب والأندلس لم يعتنوا إلا بالقراءات السبع تأليفاً، وتعليماً .

وتنوع مستوى حلقات تعليم القرآن على مر العصور، فمنها ما كان خاصاً بتعليم أولاد الخلفاء والأمراء، والخاصة^(٢).

ومنها ما كان خاصاً بتعليم عموم الصبيان^(٣).

ومنها حلق جمعت بين أصناف المتعلمين من فقهاء، ومتأدبين من أهل التجارة^(٤).

(١) انظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين : ١٧٨ .

(٢)، (٣) انظر القراءات القرآنية في بلاد الشام : ١٨، ٢٣ .

(٤) انظر منجد المقرئين : ٦٢ - ٦٣ .

الفصل الأول

المقومات الذاتية

تعد الصفات الذاتية لمدرس القرآن الكريم عماد شخصيته - بعد توفيق الله له - ؛ لأنها تشير إلى مكنون ضميره، ومسلكه بوجه عام . وسوف أقتصر في هذا الفصل على ذكر أربع منها ؛ لما لها من دور مهم في صقل شخصية المدرس .

١ - التمسك بمنهج السلف في الاعتقاد :

يعد الالتزام بأصل الاعتقاد الذي كان عليه السلف الصالح، وبراءة المرء من المحدثات والبدع من أكبر منن الله عليه . وسلامة الاعتقاد مطلب شرعي، ومن أول المهام التي ينبغي أن يتحقق بها المعلم، ومدرس القرآن الكريم . ذلك أن رجل العقيدة سهم يندفع في تحقيق أهدافه، وهو إنسان ملأت عقيدته نفسه، فهو يعيش من أجلها، ويرضى بكل أذى في سبيلها، ويبذل جهده وكل غال ورخيص في ظلها، فرجل العقيدة أعظم ذخراً تقدمه للعقيدة، وأكبر رصيد نعه في سبيل نصرتها^(١) . إن سلامة الاعتقاد من المقومات الأساسية للمعلم، الذي يتصدى

(١) انظر المسؤولية للدكتور محمد أمين المصري : ٤٠ .

للتعليم والتربية في حلقات القرآن ؛ لأن ذلك يثمر الاستقرار القلبي، فيصبح اعتقاده القلبي متوافقاً مع قوله اللفظي، وسلوكه العملي^(١)، ومن كانت هذه سيرته فإنه يستطيع أن يحقق أبرز أهداف الحلقات القرآنية، بغرس بذرة الإيمان في نفوس الناشئة، وبناء لبنة عقيدة التوحيد الباسقة المظلمة ؛ بحيث يقع القرآن على أصل الإيمان مع نقاء الفطرة، فتنبو الثمرة، وتؤتي أكلها، فيحصل النفع بإذن الله .

ولا يفوتني وأنا أتحدث عن هذه الصفة، والسمة البارزة لمعلمي الخير أن أشير إلى أن أئمة القراءة الأوائل كانوا على هذا المنهج الواضح الذي لم يتكدر ولم يرنق . فنجد الإمام الحافظ المقرئ أحمد بن محمد بن عبد الله، أبا عمر الطلمنكي (ت : ٤٢٩ هـ) - وهو أول من أدخل القراءات إلى الأندلس كما يرى ابن الجزري^(٢) - على هذه الطريقة التالدة، وألّف في هذا المهيّع كتابه « أصول السنة »^(٣)، وقد نقل عنه ابن تيمية وابن القيم نقولاً وافرة في كتبهما .

ونجد الإمام المقرئ عثمان بن سعيد، أبا عمرو الداني : (ت : ٤٤٤ هـ)، ألّف « الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات

(١) مهارات التدريس في الحلقات القرآنية (بتصرف) : ٦٨ .

(٢) غاية النهاية : ١ / ١٢٠، والنشر : ١ / ٣٤ .

(٣) يعد هذا الكتاب من المفقود من مؤلفات الطلمنكي . والمراد بكتب « السنة » :

الكتب الحاضّة على اتباعها والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء . انظر الرسالة المستطرفة للكتاني : ٣٧ .

وأصول الديانات»، التي تنضح بمعتقد أهل السنة والجماعة، وتمتاز بسبك الأدلة في مواضعها، كما أنها خلت من مصطلحات علم الكلام^(١).

كما أنه - رحمه الله - مزج في منظومته الموسومة بـ «الأرجوزة المنبّهة» - وهي قصيدة رجزية تقع في نحو (١٣٠٠) بيت - بين أصول القراءة ومتعلقاتها، وبين أصول الدين، فذكر من صفات الشيوخ الذين يؤخذ عنهم العلم ما يلي^(٢):

فاقصد شيوخ العلم والرواية	ومن سما بالفهم والدراية
واتَّبِعَ السنة والجماعة	وقام لله بحسن الطاعة
وقال ^(٣) :	

وجانبِ الأراذلِ المبتدعة	واعملْ بقولِ الفرقةِ المتَّبعة
وقال في بيان بعض مسائل العقيدة ^(٤) :	

ومن عقود السنة الإيمان	بكل ما جاء به القرآن
فمن صحيح ما أتى به الأثر	وشاع في الناس قديماً وانتشر

(١) انظر من مقدمة المحقق : ص ٨ .

(٢) الأرجوزة المنبّهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات : ١٦٨ .

(٣) المصدر السابق : ١٧٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٧٨ ، ١٩٤ .

عن الأيِّمة عن النبيِّ وبالحديث المسند المرويِّ
نزول ربنا بلا امتراءٍ في كل ليلةٍ إلى السماء
من غير ما حدٌّ ولا تكيف سبحانه من قادر لطيف
ونجد الإمام المقرئ الحسن بن أحمد بن عبد الله، أبا علي البغدادي
الحنبلي (ت: ٤٧٧ هـ)، -صاحب كتاب «بيان العيوب التي يجب
أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء»- ألف كتابه
«المختار في أصول السنة»^(١) الذي اختصر فيه كتاب «الشريعة»
للآجري، وكتاب التوحيد من صحيح البخاري.

ونجد الإمام الحافظ المقرئ الحسن بن أحمد بن الحسن، أبا العلاء
الهمداني العطار (ت: ٥٦٩ هـ) -صاحب كتاب «غاية الاختصار
في قراءات العشرة أئمة الأمصار»- ألف «فتيا في الاعتقاد وذم
الاختلاف»^(٢).

ولا أطيل بذكر الأمثلة في هذا، وإنما قصدت الإلماع إلى منهج
هؤلاء الأئمة ؛ ليكونوا نبراساً على الطريق لمعلم القرآن الكريم، فيتبع
آثارهم .

(١) حققه الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، وصدر عن مكتبة العلوم
والحكم بالمدينة في طبعته الأولى عام (١٤١٣ هـ) .

(٢) حققه عبد الله بن يوسف الجديع، وصدر عن دارالعاصمة بالرياض عام
(١٤٠٩ هـ) .

٢ - إخلاص النية :

إن أهم الأمور التي يجب على كل مكلف أن يأخذ نفسه بها،
ويقوم أعماله عليها، هو إخلاص القصد لله في سائر أحواله الظاهرة
والباطنة، فكيف بمن انتصب لتعليم كتاب الله العزيز ؟

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (البينة : ٥) ، وقال ﷺ : « إنما الأعمال
بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » (١) .

وقد ابتلى الله تعالى العباد بالشرعية ؛ ليظهر منهم حسن العمل،
فقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك : ٢)
وفسر الفضيل بن عياض حسن العمل بقوله : « أخلصه وأصوبه » ،
وقال : العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، الخالص : إذا كان لله ،
والصواب : إذا كان على السنة (٢) .

لذلك يعد العمل الخالي من النية الصالحة كالجثة الهامدة ، التي لا
روح فيها ، وقد فرض الله تعالى عبودية على المسلم في كل عمل
يعمله ، ومما لامرأ فيه أن تعليم القرآن الكريم من أجل القرب وأعظمها

(١) رواه البخاري (١) (الفتح : ١ / ١٥) ، ومسلم (١٩٠٧) صحيح مسلم :

٣ / ١٥١٥ بلفظ : « إنما الأعمال بالنية » ، وغيرهما .

(٢) معالم التنزيل للبغوي : ٨ / ١٧٦ .

أجراً، حتى فضله بعض السلف على الجهاد في سبيل الله^(١)، فمن مقتضى هذه العبودية في هذا العمل أن تُجرد النية لله في تعليمه، ويُفرد بحسن الطاعة والقصد، ويُصَفَّى عن ملاحظة المخلوقين، كما قال القشيري : « الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين »^(٢).

وكلما أخلص المرء لله لم يتعثّر في سيره، وأُعطي توفيقاً بقدر ما في قلبه من الصدق والإخلاص، قال الإمام الرباني محمد بن واسع البصري : « إذا أقبل العبد بقلبه على الله، أقبل الله بقلوب العباد عليه »^(٣).

وهذه معلّمة مهمة لمدرس القرآن الكريم، ينبغي له ترسمها والحرص عليها ؛ ليمسك بالكتاب، ويحبب الناس إليه، ويحملهم على حسن الأدب معه، وجودة تلاوته .

وقد رأيت من بعض مشايخي في تعليمهم القرآن صدقاً وإخلاصاً ظاهراً؛ بحيث بورك لهم في أعمالهم وأعمارهم، وصرف الله قلوب الناس إليهم، وازدحم عليهم الطلاب من كل أفق ؛ لأنهم عاملوا ربهم بهذه الخصلة، فأعطاهم بحسن قصدهم وطهارة نفوسهم أفضل عطاء، وجعلهم بحق من أهل الخيرية التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله :

(١) انظر النشر : ١ / ٤ .

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن : ٢٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٦ / ١٢١ .

« خيركم من تعلّم القرآن وعلمه »^(١).

ولعظم هذا الأمر وأهميته في مقاصد المكلفين، وفيما يتعبدون به ربهم، تمنّى ابن أبي جمرة الأندلسي (ت : ٦٩٥ هـ) على أهل العلم أن يتفرغ بعضهم لهذا الموضوع ؛ كي يعلم الناس مقاصدهم، فقال : « وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا، فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك »^(٢).

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذه الصفة لمعلم القرآن الكريم، أن بعض القراء يكره قراءة طلابه على غيره من القراء ممن ينتفع بهم .

قال النووي - رحمه الله - : « وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين، وهي دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته، وفساد طويته، بل هي حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى الكريم ؛ فإنه لو أراد الله تعالى بتعليمه لما كره ذلك، بل قال لنفسه : أنا أردت الطاعة بتعليمه وقد حصلت، وهو قصد بقراءته على غيري زيادة علم، فلا عتب عليه ».

قال : « وقد صحَّ عن الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - أنه قال : وددت أن الخلق تعلّموا هذا العلم - يعني علمه وكتبه - على أن لا

(١) سبق تخريجه ص : ٤٨٢ .

(٢) المدخل لابن الحاج : ٣ / ١ .

ينسب إليَّ حرف منه «^(١)» .

وتأتي أهمية تصفية النية من الشوائب، وإخلاصها لله تعالى في فاعلية العملية التعليمية والتربوية من كونها أساساً لقبول عمل المدرس ورفع عمله الصالح، ومن الجانب الآخر أن المدرس قدوة لطلابه، فإذا كان خالي الوفاض أو مكدر المورد في هذه الصفة، فكيف يستطيع أن يؤثر في تلاميذه، ويحقق أهدافه التعليمية والتربوية ؟ .

٣ - التدين الصادق :

يعد الالتزام بأحكام الشرع الحنيف علامة فارقة ومميزة بين المسلم الصادق ومدعي الإسلام .

وينبغي لمن فضله الله تعالى وشرفه بحمل كتابه، أو شيء منه أن يكون من أهل القرآن بحق، الذين هم أهل الله وخاصته، ومن قال الله عز وجل فيهم ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ (البقرة: ١٢١) أي يعملون به حق عمله^(٢) . وقال عكرمة : يتبعونه حق اتباعه من قولهم : تلا، أي : تبع، ومنه قوله تعالى ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا ﴾ (الشمس: ٢) ^(٣) .

وذكر العلماء أن من شرط مقرئ القرآن وصفته أن يكون ثقة

(١) التبيان في آداب حملة القرآن : ٢٨، ونحوه في المجموع شرح المذهب : ١ / ٦٤ .

(٢) أخلاق حملة القرآن : ٢٤ .

(٣) تفسير القرآن للسمعاني : ١ / ١٣٢ .

مأموناً، ضابطاً، متنزهاً من أسباب الفسق ومسقطات المروءة^(١).
 قالوا : وليتمسك بالكتاب والسنة في جميع تصرفاته الظاهرة
 والباطنة، فهذا أصل كل خير، ومنبع كل فضيلة^(٢).
 فينبغي لحامل القرآن ومعلمه أن يكون ملتزماً بالفرائض والواجبات،
 ومحافظاً على المندوبات بحسب الاستطاعة، مجتنباً للمحرمات،
 مبتعداً عن المكروهات بقدر الطاقة، سواء ما كان من ذلك بالقول أو
 الفعل، ظاهراً وباطناً .
 وأن يكون مراقباً لربه في سره وعلا نيته، راجياً ثوابه، خائفاً من
 عقابه، متأملاً في تصرفاته، محاسباً نفسه على هفواته وزلاته، حريصاً
 على ما يصلح دينه، ويسدد نقصه، ويصلح خطئه قدر الإمكان^(٣).
 ذكر الآجري بسنده عن ابن مسعود أنه قال : « ينبغي لحامل القرآن
 أن يُعرف بليته إذا الناس نائمون، ونهاره إذا الناس مفطرون، وبورعه إذا
 الناس يخلطون، وبتواضعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس
 يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس
 يخوضون »^(٤).

(١) انظر منجد المقرئين : ٥٨، وغيث النفع في القراءات السبع : ١٩ .

(٢) غيث النفع : ٢٤ .

(٣) المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية : ١٣ .

(٤) أخلاق حملة القرآن : ٤٢ .

قال الآجري -رحمه الله - : « هذه الأخبار كلها تدل على ما تقدم ذكرنا له من أن أهل القرآن ينبغي أن تكون أخلاقهم مبيّنة لأخلاق من سواهم ممن لم يعلم كعلمهم، إذا نزلت بهم الشدائد لجؤوا إلى الله فيها، ولم يلجؤوا فيها إلى مخلوق، وكان الله أسبق إلى قلوبهم، وقد تأدّبوا بأدب القرآن والسنة، فهم أعلام يقتدى بفعالهم»^(١).

وذكر عبد الصمد بن يزيد البغدادي -خادم الفضيل بن عياض- أنه سمع الفضيل يقول: «أنزل القرآن ليُعمل به؛ فاتخذ الناس قراءته عملاً»^(٢).

وقال الحسن -رحمه الله-: «إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه»^(٣).

ومما ينبغي لمعلم القرآن الاعتناء به، المحافظة على تلاوة القرآن ومدّاومتها، دون الاكتفاء بالتسميع للطلبة عن المراجعة، وهذا من المواطن التي قد تقع فيها غفلة بعض المدرسين، بحيث يجتزئ بسماعه القرآن دون تلاوته هو له؛ مما يوقعه بشيء من هجر القرآن، ويترتب عليه ضعف محفوظه.

(١) أخلاق حملة القرآن : ٤٢ - ٤٣ .

(٢) المصدر السابق : ٤٣ .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد : ٦٣ .

ومما يجب على المعلم أن يأخذ نفسه به، وينشئ طلبته عليه، البعد عن الأساليب المبتدعة في القراءة، التي أحدثت بعد القرون المفضلة، نحو قراءة القرآن بأصوات الغناء، أو بطريقة الترعيد، أو الترقيص، أو التطريب، أو باللحون الخاصة بالأعاجم؛ لأن القرآن عربي، فيسلك به مذاهب العرب في لحونهم ونغماتهم، أو التشبه بإيقاعات التراتيل الكنائسية، والأنغام اليهودية والنصرانية، فإن مطلق التشبه بهم حرام، فكيف به في هذا المقام؟

ويحذر من الانزلاق إلى النواح حتى لا يتشبه بأهل النوح من الذين لا يؤمنون بقدر الله .

ويدخل في هذا النوع من الطرق المبتدعة مشابهة ألحان الروافض في نياحاتهم التي يقيمونها في عاشوراء، فإنها يجتمع فيها وصفان من الأوصاف المعتبرة في التحريم : أنها ألحان أعجمية، وأنها من ألحان أهل النوح^(١).

فإذا رُئي معلم القرآن يعتاد هذه الطرائق ويرغب فيها، فهو دليل على عدم اتباعه للقرآن، وانتفاعه به .

روى زياد بن لبید الأنصاري قال : ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال :

(١) انظر جمال القراءة وكمال الإقراء : ٢ / ٥٢٨ - ٥٢٩، والتمهيد في علم التجويد

لابن الجزري : ٥٥ - ٥٧، ولطائف الإشارات لفنون القراءات : ١ / ٢١٨، وسنن القراء ومناهج المجودين : ٩٤، ٩٩ .

«وذاك عند أوان ذهاب العلم»، قال : قلنا : يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : « ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيء ؟ »^(١).

والمقصود من ذكر صفة التدين الصادق لمعلم القرآن، التنبيه على أن يواطئ قوله وعمله ما يحمل من كلام الله ؛ ليكون القرآن العظيم حجة له، لا عليه، وليرفعه الله به، وينفع بتعليمه .

٤ - حسن الخلق :

إن من المبادئ المهمة التي ينبغي لمعلم القرآن أن يعتني بها، ويعرف حدودها وثمراتها الأخروية والدينية هو حسن الخلق، ويتأكد هذا الخلق في حقه من جانبين :

(أ) أنه من حملة كتاب الله، فهو حائز لهذا الإرث الشرعي، الذي كان خلقٌ من نزل عليه - ﷺ - القرآن، وأثنى عليه ربه تعالى بأعظم خلة يتحلى بها بشر، فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : ٤) .

(١) رواه أبو خيثمة زهير بن حرب في كتاب العلم (٥٢) : ١٥ - ١٦، وأحمد في المسند : ٤ / ١٦٠، وابن ماجه (٤٠٤٨) في السنن : ٢ / ١٣٤٤ .

(ب) أنه متصدر لتعليم الناس ومخالطتهم، وسينتج عن هذا التعليم وتلك المخالطة أمور ينبغي أن يقابلها بحسن السياسة وتدبير الأمر؛ لأن كل من خالط الناس وجد منهم ما يكره .

فلذلك لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن معلماً لهم ومفقهاً وقاضياً، أوصاه بقوله : « وخالق الناس بخلق حسن »^(١)؛ « فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن، ما لا يحتاج إليه غيره ممن لا حاجة للناس به، ولا يخالطهم، وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية، أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً، لا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصدّيقين »^(٢).

وقد نبه العلماء المعلّم على بعض الأخلاق التي ينبغي التحلي بها، ومنها: « ينبغي للمعلّم أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها، والخلال الحميدة، والشيم المرضية التي أرشده الله إليها من الزهادة في الدنيا، والتقلل منها، وعدم المبالاة بها وبأهلها، والسخاء والجود، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة، والحلم والصبر، والتنزه عن دنيء الاكتساب، والسكينة والوقار،

(١) رواه أحمد: ٥/١٥٣، والترمذي عن أبي ذر (تحفة الأحوذى: ٦/١٢٢)، وغيرهما.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ١/٤٥٤ .

والتواضع والخضوع، واجتناب الضحك، والإكثار من المزح ...»^(١).
 وذكر ابن جماعة من الآداب التي ينبغي للعالم أن يأخذ بها نفسه :
 «معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه، وإفشاء السلام،
 وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، واحتماله منهم،
 والإيثار وترك الاستئثار، والإنصاف وترك الاستنصاف، وشكر
 التفضل^(٢)، وإيجاد الراحة^(٣)، والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه
 في الشفاعات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلى الجيران والأقرباء،
 والرفق بالطلبة، وإعانتهم وبرهم»^(٤).

وبهذه الخصال المحمودة، والصفات الجميلة يظهر أن لفظ «حسن
 الخلق» واسع المدلول، متعدد الجوانب والمظاهر .

وهذا الشمول الذي يحويه « الخلق الحسن » يعد من أبرز وسائل
 تقوية الروابط الاجتماعية بين المعلم والمتعلم، في حين أن سوء الخلق
 يؤثر في هذه العلاقة التي هي شرط في التأثر والاستجابة، وقد أُثِرَ عن
 عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قوله : « يكون في الرجل عشر
 خصال تسعة منها أخلاق حسنة، وخلق سيئ، فيغلب السيئُ

(١) التبيان في آداب حملة القرآن : ٢٩ .

(٢) أي : شكر صاحب الفضل والمعروف .

(٣) للمتعلم في تحصيله ودرسه، وفي مسكنه .

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم : ٢٣ .

التسعة الحسنة»^(١).

ولقد سمعت من بعض الطلاب الذين انتظموا في حلقات حفظ القرآن الكريم، أنهم كانوا يرون مدرس القرآن الذي يلقنهم عدوهم اللدود، ويسارقونه نظرات الغضب والحنق، ومرد ذلك اجتهاد المدرس في وسائل التعليم والتأديب، فتجده يسلك سبيل العنف والشدة، والتهديد والضرب في غالب الأحيان؛ مما يؤدي إلى زرع بذور الكراهية بين المعلم والطالب، وهو مؤشر على فقد المدرس لصفة «حسن الخلق»، الذي له تداعياته العلمية والتربوية على النشء.

(١) مهارات التدريس في الحلقات القرآنية : ٧٢ .

الفصل الثاني

المقومات العلمية

إن معرفة الصفات والخصائص التي ينبغي للمعلم أن يُلم بها في جانب مهمته ومهنته التعليمية أمر لا مناص منه ؛ لإيجاد المدرس الكفاء القادر على تحمل أعباء رسالته، وأدائها على الوجه الصحيح المثمر .

ولأهمية دور المعلم في تهيئة الجو العلمي المناسب للمتعلم، كان لزاماً عليه أن يتسلح بالعلوم الأساسية والتخصصية ؛ ليقوم بدوره الفعال دون هبوط أو آثار سلبية .

وسأعرض في هذا الفصل، لأهم المواصفات العلمية التي ينبغي توافرها في معلم القرآن الكريم .

١ - التأهل بأساسيات العلم الشرعي :

ينبغي لمعلم القرآن الكريم أن يطلب العلم الشرعي، ويتفقه في الدين، ولا يقتصر على حفظ اللفظ المجرد للقرآن الكريم، وليكن له قدوة في أسلافه من الحفاظ والقراء الذين كانوا أئمة في فنون عدة، بجانب علمهم وضبطهم لكتاب الله .

وقد ذكر العلماء عدة علوم يلزم المقرئ أو معلم القرآن أن يتخلّق

ويتحقق بها قبل أن يتصدر، وهي :

(أ) علم العقيدة :

وهو أول العلوم التي ينبغي أن يتحقق بها ؛ ليعبد ربه على بصيرة،
وينال السعادة في الدنيا والآخرة .

قالوا : ولا يجوز لأحد أن يتصدر للإقراء حتى يتقن عقائد الدين،
ويتعلمها على أكمل وجه^(١) وليستطيع أن يدفع بعض الشبه التي تثار
حول بعض القراءات^(٢)، أو مسألة خلق القرآن، أو نزول القرآن
وكيفيته، ونحو ذلك .

ويحسن به أن يدرس ويستشرح كتاباً في معتقد أهل السنة، نحو
« صريح السنة » لابن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ)، أو « العقيدة
الطحاوية » لأبي جعفر الطحاوي (ت : ٣٢٨ هـ)، أو « العقيدة
الواسطية » لابن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ)، أو « الوجيز في منهج السلف
الصالح » للشيخ عبد القادر الأرناؤوط الدمشقي .
وذكر الداني هذا العلم في شروط الشيخ المتلقّي عنه علم القرآن،
فقال^(٣) :

فإن رغبت العرض للحروف والضبط للصحيح والمعروف

(١) غيث النفع : ٢١ .

(٢) منجد المقرئين : ٥٠ .

(٣) الأرجوزة المنبهة : ١٦٨ .

ومن سما بالفهم والدراية

فاقصد شيوخ العلم والرواية

إلى أن قال :

وقام لله بحسن الطاعة

واتبع السنة والجماعة

(ب) علم التفسير :

وهذا العلم هو قلب علوم القرآن، وقد نعى الله على الذين يقرؤون

القرآن ولا يفهمونه قلّة تدبرهم، فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتْرَانِ أَمْ عَلَى

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد : ٢٤)، وقال تعالى : ﴿ كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكًا لِّذِكْرٍ لِّدَبْرٍ وَأَنَّ

ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص : ٢٩) .

وقال الحسن - رحمه الله - : « ما أنزل الله عز وجل آية، إلا وهو

يحب أن يعلم فيم أنزلت، وما أراد بها »^(١) .

وقال عمرو بن مَرْة : « إني لأمرُّ بالمثل من كتاب الله عز وجل ولا

أعرفه، فأغتمُّ به ؛ لقول الله عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَعَقِلُونَ ﴾^(٢) (العنكبوت : ٤٣) .

وقد ذم العلماء من يحفظ اللفظ من القرآن، ولا يعلم معناه ولا

يطلب تفسيره^(٣) .

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد : ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ٤٢ .

(٣) انظر الرعاية لمكي بن أبي طالب : ٨٦، والمرشد الوجيز لأبي شامة : ١٩٣، وتفسير

القرطبي : ١ / ٢٦، ولطائف الإشارات لفنون القراءات : ١ : ٣٢٧ .

وقال الراغب الأصفهاني : « أول ما يُحتاج أن يشتغل به من » علوم القرآن « العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللَّبَنِ في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم »^(١).

لذلك كان من شرط المقرئ ومعلم القرآن أن يتعلم من التفسير والغريب ما يستعين به على فهم القرآن، ولا تكون همته دنيئة، فيقتصر على سماع لفظ القرآن دون فهم معانيه^(٢).

وإذا نظرنا لمنهج الصحابة والتابعين في تعلم القرآن، وجدناهم أخذوه برفق وفهم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات، لا يجاوزونها حتى يعلموا ما فيها، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً^(٣).

وذكر الداني - رحمه الله - من شروط الشيخ المتصدر للإقراء^(٤) :

(١) مفردات ألفاظ القرآن : ٥٤ - ٥٥ .

(٢) غيث النفع : ٢١، وانظر منجد المقرئين : ٥٢ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ١ / ٣٦، والبيان في عد آي القرآن للداني : ٣٣، والمستدرک

للحاكم : ١ / ٥٥٧ .

(٤) الأرجوزة المنبهة : ١٦٨ .

وجمع التفسير والأحكام ولازم الحذاق والأعلاما
(ج) علم الفقه :

وهو من العلوم الأساسية التي يحتاجها معلم القرآن ؛ ليصلح به أمر دينه، من طهارة وعبادات، وما يحتاج إليه من معاملات^(١).
وليحرص في طلبه للفقه في الأحكام أن يقرأه من كتاب مختصر جامع، وعلى شيخ متقن ؛ ليحقق له ألفاظه، ويقرب عليه مسافة الفهم، وليعتاد ألفاظ الفقهاء .

وقال الداني - في شروط معلم القراءة -^(٢) :

وجمع التفسير والأحكام

ويحسن به أن يقرأ الأحكام الفقهية من كتاب في أحكام القرآن؛
لأنه في هذا يجمع بين التفقه والتفسير .

(د) الناسخ والمنسوخ :

اشترطه للمقرئ الداني، فقال^(٣) :

وشاهد الأكابر الشيوخا ودون الناسخ والمنسوخا

وكذلك الجعبري^(٤) : إبراهيم بن عمر (ت : ٧٣٢ هـ) .

(١) انظر منجد المقرئين : ٥٠ ، وغيث النفع : ٢١ .

(٢) الأرجوزة المنبهة : ١٦٨ .

(٣) الأرجوزة المنبهة : ١٦٨ .

(٤) منجد المقرئين : ٥٢ .

ورده ابن الجزري، فقال : « ولا يشترط أن يعلم الناسخ والمنسوخ،
كما اشترطه الإمام الجعبري » (١).

والصواب أنه لا يشترط لمعلم القرآن ومقرئه معرفته، بل هو شرط من
شروط المفسر^(٢)، والمجتهد^(٣).

ومما يلتحق بالعلوم الشرعية التي ينبغي لمعلم القرآن ومقرئه أن ينال
منها بنصيب، ما يلي :

* الحديث وعلم السنن :

ينبغي لقارئ القرآن ومقرئه أن لا يخلي صدره من حفظ شيء من
حديث النبي عليه الصلاة والسلام، ومن النظر في بعض كتب السنن،
وبخاصة المختصرات الجامعة كـ « عمدة الأحكام » لعبد الغني المقدسي
(ت : ٦٠٠ هـ)، و « رياض الصالحين » للنووي، ونحوهما .

قال أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله - : « القرآن أصل العلم،
فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان
العرب، كان ذلك له عوناً كبيراً على مراده منه ...، ثم ينظر في السنن
المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله عز

(١) منجد المقرئين : ٥٢ .

(٢) انظر مقدمة « جامع التفاسير » للراغب : ٩٥، والتيسير في قواعد علم التفسير
للكافيجي : ١٤٦ .

(٣) انظر قواعد الأصول ومعاهد الفصول : ١٠١، والبحر المحيط للزركشي :

وجل في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً^(١).

* الرقائق وفضائل الأعمال :

وهذا الباب ذخيرة ثمينة، وستر رقيق يكشف للمرء عيوب نفسه، ويعالج به عوجها ومرضها، ويفتح له أبواباً من الخير والعمل، والجد والاجتهاد في العبادة والطاعة .

* النظر في تراجم الصالحين :

وهو علم مفيد يترسم به المرء سير أولئك القوم ويتشبه بهم، وبه يعرف أحوالهم وتجاربهم في الحياة، كسير الصحابة، والتابعين، وعلماء الأمة، كمالك والشافعي وأحمد، وغيرهم ممن سار على طريقهم .
جاء عن الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - أنه قال : « الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم »^(٢).

٢ - الإمام بعلوم التخصص :

إن الدراية الكافية، والمعرفة الجيدة بالعلوم التي يتخصص بها المدرس، تعدُّ مطلباً مهماً من مطالب التأهل للتعليم؛ لأن إيصال العلم بأمانة للآخرين متوقف على التأسيس المتين، والفهم السليم لأسس ومبادئ العلم المتخصص فيه .

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١١٣٠ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله : ١ / ٥٠٩ - ٥١٠ .

وأهل كل علم وأرباب كل صنعة أدرى بها من غيرهم، وقديماً قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : « كل علم يسأل عنه أهله »^(١)؛ لذلك إذا تكلم الإنسان في علم لا يحسنه، ولا يعرف حدوده ومصطلحاته أتى بالعجائب والغرائب .

ويعد التمكن في علم التخصص مهماً - أيضاً - لإبراز شخصية المدرس، ودورها الفعال في التأثير والتوجيه ؛ لأن المعلم الضعيف في هذا الجانب، يعطي صورة مهزوزة عنه أمام تلاميذه، مما يضعف تأثيره فيهم .

وسأتناول أهم العلوم المساعدة التي تؤهل مدرس القرآن الكريم إلى المستوى المنشود منه .

(أ) إتقان علم التجويد :

وهذا العلم هو الصفة الشرعية التي يُتَعَبَّدُ بها في تلاوة كلام ربنا، ويعدُّ كذلك - إن صحَّ تعبيرى - البنية التحتية لعلم القراءات ؛ لأن كثيراً من قواعده وأصوله مشتركة بين القراء، فإتقانه على المستوى العلمي النظري، والمستوى العملي التطبيقي وسيلة ضرورية للمعلم .

وإلا فكيف يستطيع المدرس شرح بعض المصطلحات الدقيقة في هذا العلم، نحو : الهمس، والشدة، إن لم يفهمها فهماً واضحاً دقيقاً،

(١) النشر : ١ / ٢٧١ .

ويتلقها تلقياً جيداً متقناً؟، أو كيف يستطيع نطق بعض الكلمات القرآنية التي تحتاج إلى معرفة تامة بطريقة نطقها كوجهي الاختلاس، والإشمام مع الإدغام في قوله تعالى: ﴿لَأَنۡتُمۡنَا﴾ (يوسف: ١١)، أو التسهيل في قوله: ﴿ءَاۡعَجَمۡنِي وَعَرَبِيٌّ﴾ (فصلت: ٤٤)، ونحوها؟.

وقد يؤدي الأمر في بعض المتصدرين لتعليم القرآن إلى هوة بعيدة؛ بسبب عدم فهم حدود التعريفات والمصطلحات، فيفسرها تفسيراً شاذاً أو بعيداً، كما حصل لبعض المؤلفين في أحكام التجويد، فذكر أن المد المنفصل يجوز قصره من طريق «الطيبة»، قال: «أهل المدينة المنورة»^(١).

ففسّر طريق «الطيبة»، وهو متن في القراءات العشر لابن الجزري نظم فيه كتابه «النشر»، بأحد أسماء مدينة النبي عليه الصلاة والسلام، وهو فهم عجيب!!.

ويمكننا عدُّ بواكير الاهتمام بالناحية العملية في جانب التجويد، هي قراءة الصحابة رضوان الله عليهم على النبي عليه الصلاة والسلام، وقراءة بعضهم على بعض. وثبت عن جمع من الصحابة والتابعين قولهم: «القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول»^(٢).

ومن مظاهر هذا الاهتمام أن عثمان - رضي الله عنه - لما بعث

(١) انظر هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: ٣٠٣.

(٢) انظر طرق الأثر في السبعة لابن مجاهد: ٤٩ - ٥٢.

المصاحف إلى الأمصار، أرسل مع كل مصحف مقرئاً ضابطاً يقرئ عامة الناس بما في هذا المصحف وفق ما قرأ وروى ؛ لأن في القراءة كفايات وصفات لا تؤخذ إلا بالتلقي والمشافهة .

ومما ينبغي تأكيده - ونحن نتكلم على إتقان التجويد -، أمران :
الأول : أن يُتخير للقراءة شيخ متقن ضابط، استكمل الأهلية في هذا الأمر، فإذا حصل المرء مثله فليحرص على طول ملازمته والأخذ عنه .
قال مكي بن أبي طالب : « يجب على طالب القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة، والفهم في علوم القرآن، والنفاذ في علم العربية، والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن، وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم »^(١) .

الثاني : العناية بمخارج الحروف وصفاتها، وهو من أهم مباحث التجويد، وإتقانه يعد إتقاناً لثلاثة أرباع التجويد .
وعرّف الإمام الداني التجويد بقوله : « فتجويد القرآن، هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ومراتبها، وردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف »^(٢) .

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : ٨٩ .

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد : ٧٠ .

وجعل الصفاقسي التجويدَ : معرفة مخارج الحروف وصفاتها^(١) .
وأرى أن من أفضل ما يدرّسه المعلم في باب التجويد - ويحسن به حفظه - منظومة ابن الجزري « المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه » المعروفة بالجزرية ؛ لأنها تمثل واسطة العقد في مؤلفات هذا الفن، ولاقت احتفاء واهتماماً من أهل العلم ؛ لكون ناظمها إماماً مقدماً في هذا العلم، ولأنها جمعت أمهات المسائل وأطر علم التجويد .
وإن أراد الارتقاء إلى علم القراءات، فليحفظ كتاباً جامعاً شتملاً على ما ينبغي أن يقرأ به من أصول القراءات وفرشها^(٢) .
وينبغي له معرفة حكم تركيب القراءات بعضها مع بعض^(٣) ، ومعرفة طريقة جمعها ؛ لأن معظم شيوخ هذا العلم المتأخرين يأخذون بطريقة الجمع^(٤) .
وأنبه في خاتمة حديثي عن التجويد أن بعض من لم يتلق هذا العلم عن شيوخه الأثبات أهل الورع والرواية، والعلم والدراية، يقع في تكلف وتزيّد من غير أصل ؛ وهذا بسبب تعاطيه هذا العلم من غير أن يقتبسه من عالم مجيد .

(١) غيث النفع : ٢١ .

(٢) انظر منجد المقرئين : ٥٢ ، ولطائف الإشارات : ١ / ٣٣٤ .

(٣) انظر منجد المقرئين : ٧٧ - ٧٨ ، والنشر : ١ / ١٨ - ١٩ .

(٤) انظر منجد المقرئين : ٧٢ - ٧٤ ، والنشر : ٢ / ١٩٤ - ٢٠٦ .

قال الداني - رحمه الله - : « فأما ما يذهب إليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الإفراط في التمثيط، والتعسف في التفكيك، والإسراف في إشباع الحركات وتخليص السواكن، إلى غير ذلك من الألفاظ المستبشعة، والمذاهب المكروهة، فخارج عن مذاهب الأئمة وجمهور سلف الأمة، وقد وردت الآثار عنهم بكراهة ذلك، وبكيفية حقيقته »^(١)

(ب) الاهتمام بالسند :

وهو من أهم وسائل علم القراءة ؛ لأن القراءة قائمة على الرواية والنقل، فلا بد من إثباتها، وطريق ذلك الإسناد .

وقد نبه العلماء على أهمية الاعتناء بهذا العلم، وعدوه من العلوم اللازم معرفتها لطالب القراءة، كابن الجزري^(٢)، والبقاعي^(٣)، والقسطلاني^(٤)، والصفاقسي^(٥).

وقد قال الإمام عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء »^(٦).

(١) التحديد : ٨٩ ، وفيه « وتلخيص »، والصواب المثبت، وهو كذلك في بعض النسخ الخطية.

(٢) انظر منجد المقرئين : ٥٧، والنشر : ١ / ١٩٣ .

(٣) انظر الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات : ٢٠ .

(٤) انظر لطائف الإشارات : ١ / ١٧٢ - ١٧٣ .

(٥) انظر غيث النفع : ٢١ .

(٦) رواه مسلم في مقدمة صحيحه : ١ / ١٥ .

وَيُعَدُّ حصول الطالب على إسناد في القراءة متصلاً بالنبي ﷺ شهادة على أهليته وصلاحه للتدريس وتعليم القرآن الكريم، وتزكية له وتوثيقاً في دخوله في السلسلة المباركة لتحمل القرآن ونقله؛ بحيث أصبح عدلاً ضابطاً في نقل الرواية أو الروايات التي قرأها وتلقاها .
ولما كان القرآن لا يؤخذ من المصحف، اشتدت العناية بالتلقي والإسناد، وكان هذا الأمر دأب العلماء، وطلبة العلم الجادين .

ومن طريف ما يذكر ما حكاه ابن الجوزي، قال : سمعت ابن الرومي يقول : خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها، فأقام عنده أياماً، فقال له الخطيب : أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم، وقد أشكل عليّ في القرآن بعض مواضع .

قال : سلني عنها، قال : منها في ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ... ﴾ ، قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ ﴾ أي شيء : تسعين أو سبعين ؟ أشكلت عليّ هذه، فأنا أقولها « تسعين » آخذ بالاحتياط^(١) .

وقد ذكر العلماء أن مقرئ القرآن لا بدّ له من أنسة بحال الرجال والأسانيد، وهو من أهم ما يحتاج إليه^(٢)، وما وقعت أخطاء عدد من القراء في أسانيدهم، إلا بسبب غفلتهم عن هذا الجانب^(٣) .

(١) أخبار الحمقى والمغفلين : ٧١ .

(٢) انظر منجد المقرئين : ٥٧، ولطائف الإشارات : ١ / ١٧٣ - ١٧٤ .

(٣) انظر كلام ابن الجزري في غاية النهاية : ٤٠٠ / ٢ في الأوهام التي وقعت في أسانيد « الكامل » للذهلي .

وذكر ابن الجزري - رحمه الله - أنه لا بدَّ من سماع الأسانيد على الشيخ، والأعلى أن يحدثه الشيخ بها من لفظه، فأما من لم يسمع الأسانيد على شيخه، فأسانيده من طريقه منقطعة^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه ما يحصل من إعطاء الإجازات المبهمة، أي التي لا تعين فيها لنوع المقروء، ومقداره، وكيفيته، سواء من جانب الشيخ المجيز، أو في جانب الطالب المجاز، وهو تدليس، بل يرى ابن الجزري أنه تدليس فاحش، يلزم منه مفسد كثيرة^(٢).

فينبغي للمجيز أن ينص على الرواية أو الروايات التي قرأها الطالب عليه، ومن أي كتاب، ومن أي طريق، وهل ختم ختمة كاملة أو لا ؟ . وأرى أنه يحسن ذكر أن الطالب قرأ القرآن الكريم حفظاً من صدره - وهو الأصل في تلقي القرآن^(٣) - ؛ بسبب تساهل بعض من يجيز بالقراءة نظراً، وحتى يتميز الحافظ عن غيره .

(ج) العناية باللغة العربية :

يعد الاعتناء بلغة القرآن الكريم من شعائر الدين ؛ لأنها السبيل للنطق الصحيح، والبيان الواضح، والفهم السليم .

(١) منجد المقرئين : ٧٦ .

(٢) انظر منجد المقرئين : ٥٤ .

(٣) انظر هذا الأصل عند : ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٣ / ٤٠٠ ، وابن الجزري

في النشر ١ / ٦ .

وقد وردت آثار عديدة في الحث على تعلمها والحرص على طلبها، فمن ذلك ما ثبت عن عمر - رضي الله عنه - في كتابه لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : « تعلموا العربية، وتفقهوا في العربية »^(١).

وعدَّ أئمة القراءة الاعتناء بها من الوسائل المهمة لعلم القراءة، كابن الجزري^(٢)، والبقاعي^(٣)، والقسطلاني^(٤)، والصفاقسي^(٥).

وعدَّ ابن مجاهد حامل القرآن الذي لا يعرف الإعراب، وهو غير مطبوع عليه، حافظاً لا يلبث أن ينسى ؛ لتشابه الحركات عليه، ولأنه لا يعتمد على علم بالعربية، ولا بصر بالمعاني يرجع إليه^(٦).

قال ابن عبد البر - رحمه الله - : « القرآن أصل العلم، فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب، كان ذلك له عوناً كبيراً على مراده منه »^(٧).

ويرى ابن الجزري أن النحو والصرف من أهم ما يحتاج إليهما قارئ

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١١٣٢ - ١١٣٣ .

(٢) منجد المقرئين : ٥٠ - ٥١ .

(٣) الضوابط والإشارات : ٢٠ .

(٤) لطائف الإشارات : ١ / ١٧٢ ، ١٨٢ .

(٥) غيث النفع : ٢١ .

(٦) انظر السبعة في القراءة : ٤٥ .

(٧) جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١١٣٠ .

القرآن ومعلمه ؛ لأنه محتاج إليهما في توجيه القراءات، وفي باب وقف حمزة على الهمز، وفي أبواب الإمالة، وفي الوقف والابتداء^(١).

وقال أبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصْرِي (ت : ٤٨٨ هـ)^(٢) :
وأحسن كلام العرب إن كنت مقرئاً .: وإلا فتُخطي حين تقرأ أو تُقري
لقد يدّعي علم القراءة معشر .: وباعهم في النحو أقصر من شبر
فإن قيل : ما إعراب هذا ووزنه .: رأيت طويل الباع يقصر عن فتر
وقال الداني : -في صفات من يؤخذ عنهم العلم-^(٣) :

وفهم اللغات والإعراب .: وعلم الخطأ والصواب
وقال :

وكل من لا يعرف الإعراب .: فربما قد يترك الصوابا
وربما قد قول الأئمة .: ما لا يجوز و ينال إثمه
لذلك ورد عن عمر - رضي الله عنه - أنه كان يكتب إلى عماله :
« لا يقرئ القرآن إلا من يعرف الإعراب »^(٤).

فحري بمعلم القرآن أن يتقن هذا العلم، ويدرب طلابه عليه،
ويحبيه إليهم .

(١) انظر منجد المقرئين : ٥٠ - ٥١ .

(٢) شرح القصيدة الحصرية لابن عزيمة الإشبيلي : ٢ / ٢٦ .

(٣) الأرجوزة المنبهة : ١٦٨ ، ١٧١ .

(٤) ذكره الشهرزوري في « المصباح الزاهر » : ١٥٢٢ .

وإذا نظرنا إلى أئمة القرآن نجد أن معظمهم جمعوا بين علمي القراءة والعربية، ولهم تراجم في طبقات القراء، وفي طبقات النحاة واللغويين، ونراهم قد زاجوا في تأليفهم بين العلمين، فصنفوا فيهما .

(د) معرفة الوقف والابتداء :

معرفة هذا العلم من المقاصد الجليلة، والمطالب النبيلة لقارئ القرآن ومعلمه ؛ كي يعرف كيف يقف، وأين يقف، ومن أين يبتدئ وكيف يبدأ القراءة ؟

لذلك اعتنى به السلف، وتعلّمه الصحابة رضوان الله عليهم، فقال ابن عمر : « لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ، فتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها »^(١).

قال النحاس : « فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون التمام كما يتعلمون القرآن، وقول ابن عمر : « لقد عشنا برهة من دهرنا »، يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة »^(٢).

وقال ابن الجزري : « وصحّ بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع – إمام أهل المدينة الذي

(١) رواه أبو جعفر النحاس في القطع والائتناف : ٨٧، والحاكم في المستدرک : ١ /

٣٥ وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ووافقه الذهبي .

(٢) القطع والائتناف : ٨٧ .

هو من أعيان التابعين -، وصاحبه الإمام نافع بن أبي نعيم، وأبي عمرو ابن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب»^(١).

أليس يقبح بالقارئ أن يقف - مثلاً - على قوله تعالى : ﴿وَأَن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُيُوبَ﴾^(٢)، أو على قوله : ﴿يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ﴾^(٣)، أو على قوله : ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾^(٤) وأخى هَرُونَ^(٥)، فيفسد المعنى في هذا كله، ويقشعر جلد من سمعه؟

وأليس يستبشع من القارئ ألا يعلم كيف يبدأ بنحو قوله تعالى : ﴿أَتَتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا...﴾ (الأحقاف : ٤) أو قوله : ﴿أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ...﴾ (ص الآية : ٦).

ولهذا اشترط كثير من أئمة القراءة على المجيز أن لا يجيز الطالب في القرآن إلا بعد معرفة الوقف والابتداء^(٥).

وقد أُلّف العلماء في هذا العلم مؤلفات كثيرة قديماً وحديثاً، ما بين

(١) النشر : ١ / ٢٢٥ .

(٢) النساء، الآية : ١١ .

(٣) يوسف، الآية : ١٧ .

(٤) القصص، الآيتان : ٣٣، ٣٤ .

(٥) انظر النشر : ١ / ٢٢٥ .

مختصرات كالمقدمة للعلم، نحو « نظام الأداء في الوقف والابتداء » لابن الطحان السماتي (ت بعد : ٥٦٠ هـ)، وهي مقدمة مفيدة، وما بين مطوَّلات ككتاب « المرشد » للعماني (ت بعد : ٥٠٠ هـ) .

ومن أحسن الكتب المتأخرة في هذا العلم كتاب « منار الهدى في بيان الوقف والابتداء » لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني (ت بعد : ١٠٩٩ هـ)، فقد جمع فيه خلاصات كثير من الكتب السابقة .

وتعد علامات الوقوف الست المرموز لها في المصحف برموز خاصة، علامات هادية لأماكن الوقف والابتداء، فيحسن بمعلم القرآن العناية بها، وأخذ الطلاب لاعتبارها والاهتمام بها أثناء قراءتهم وحفظهم .

(هـ) الدراية برسم القرآن :

كتب القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ بصورة معينة، أضفت عليه صبغة خاصة تناقلها رواة وكتبة المصاحف، ثم دونها علماء القراءة في مصنفات وصفوا فيها هيئات تلك الكتابة على نحو أمين ومتقن، صار بعد ذلك علماً قائماً بذاته، هو علم (رسم القرآن)، فغدا هذا العلم علماً مميزاً لا يخضع لقواعد الإملاء، لا من حيث النطق، ولا من حيث الرسم، في الكثير منه .

وتعدُّ معرفة قواعد الرسم العثماني من الوسائل المهمة لمعرفة القراءة، نصَّ على ذلك عدد من أهل العلم منهم: البقاعي^(١)، والقسطلاني^(٢)، والصفاقسي^(٣).

وتنحصر معرفة الرسم القرآني في ست قواعد^(٤):

— الحذف : وهو مطرد في الألف، والياء، والواو، واللام، وأحياناً في النون .

— الزيادة : وهي مطردة في الألف، والياء، والواو .

— الهمزات : ولها أوضاع خاصة في أول الكلمة، ووسطها، وآخرها .

— الإبدال : وهو مطرد في إبدال الألف واواً أو ياء، أو تاء التانيث

المربوطة تاء مفتوحة، أو إبدال الثلاثي الواوي ألفاً، أو نون التوكيد الخفيفة ألفاً، وورد في موضعين^(٥).

— المقطوع والموصول : نحو قطع (أن لا) أو وصلها^(٦).

(١) الضوابط والإشارات : ٢٠ .

(٢) لطائف الإشارات : ١ / ١٧٢ .

(٣) غيث النفع : ٢١ .

(٤) انظر تفصيل هذه القواعد في : الإتيان ٤ / ١٤٧ - ١٥٨ ، ولطائف الإشارات :

١ / ٢٨٨ - ٣٠٦ ، وإيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام : ٤١ - ٦١ .

(٥) في قوله تعالى : ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (يوسف، الآية : ٣٢) ، وقوله :

﴿...لَسَفْعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (العلق، الآية : ١٥) .

(٦) ورد قطعها في القرآن الكريم في عشرة مواضع باتفاق وفي بقيتها موصولة . انظر

الفوائد المفهومة في شرح الجزرية المقدمة : ٥١ .

— ما فيه قراءتان فكتب على إحداهما: نحو ﴿لَتَخَذَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف: ٧٧) ؛ تغليباً لقراءة ﴿لَتَخَذَنَّ﴾ بالتخفيف وكسر الخاء^(١).

وقد اهتمت كتب التجويد بقاعدتي الموصول والمقطوع، والإبدال (وبخاصة إبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة)، وحصرت المواضع المتعلقة فيهما .

وتزداد أهمية علم مرسوم خط المصحف الشريف، لمن أراد أن يرتقي في علم القراءة، فيأخذ أكثر من رواية من روايات القرآن الكريم، وبخاصة فيما يترتب عليه إمالة، أو في وقف حمزة وهشام على الهمز.

(و) نصَّ بعض أهل العلم أنه لا بد لطالب علم القراءة من معرفة الاستعاذة ومشروعيتها، وصيغتها، ومن معرفة التكبير، وهو قول « الله أكبر » في خاتمة كل سورة من الضحى حتى الناس، وما يترتب عليه وصلاً ووقفاً، ومن معرفة علم الفواصل، وهو رؤوس الآي في القرآن الكريم ؛ ليعرف الوقف عليها، وليأتي بالإمالة أو التقليل لمن مذهبه ذلك من القراء عند الوقف عليها^(٢).

(١) وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير ويعقوب . انظر النشر : ٢ / ٣١٤ .

(٢) انظر الضوابط والإشارات : ٢٠، ولطائف الإشارات : ١ / ٣٠٦، ٣١٧، ٣٢٦،

والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز : ٩٠ - ٩٢ .

وهذه العلوم يحسن بمعلم القرآن الإحاطة بها، أو الإمام بشيء منها؛ ليكون كامل الأهلية في علمه وتخصصه .

(٣) الاستمرار في طلب العلم :

يعد مبدأ الثبات والمواظبة على طلب العلم، والتزود منه من صفات المعلم الكفاء الناجح ؛ لأن سَلَّمَ التعلم لا منتهى له، فلا يحد بمرحلة دراسية، ولا بشهادة علمية، ولا بسنوات عمرية .

ثبت عن الإمام مالك - رحمه الله - أنه قال : « لا ينبغي لأحد أن يكون عنده العلم أن يترك التعلم »^(١).

وقال ابن عبد البر : « ورأيت في كتاب « جامع القراءات » لأبي بكر ابن مجاهد - رحمه الله - [عن] ابن مناذر قال : سألت أبا عمرو بن العلاء : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ فقال : ما دام تحسن به الحياة »^(٢).

ومما يلحظ في جانب التعليم أن المدرس لا يكون مؤثراً إلا إذا كان ملياً بالعلم، مجدداً في عطائه لطلابه، ولا غرو أن التعليم المتين بعدها سينتج طلاباً أكفاء .

(١) جامع بيان العلم وفضله : ١ / ٤٠١ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٤٠٧ .

الفصل الثالث

المقومات التربوية

تعد الصفات التربوية التي ينبغي للمدرس اكتسابها الميدان العملي لتطبيق أسس التعليم ومراحله، ويستطيع من خلالها قطف ثمرة جهده بتوفيق الله تعالى .

فاكتساب المعلم للمهارات التربوية، بحيث تكون له خلقاً وسجية، عامل مهم لتطويع رسالته، وأداء مهمته على النحو السليم المرضي، وهذا يتطلب منه أن يكون ملماً ببعض الصفات والخصائص التربوية ؛ لكي يمتلك ناصية التوجيه والتربية .

كما لا ريب أن نبذ المعلم للآداب الحميدة والوسائل الناجحة في التعليم، أو جهله بها، واستبداده برأيه الشخصي وما ورثه من أساليب منفرة، سبب مباشر في تعويق العملية التربوية .

وقد أسهم علماء القراءة في إيراد بعض الآداب والصفات في مقدمات أو ثنايا كتبهم ؛ لتكون أنموذجاً يحتذى في الآداب والسلوك والتربية، مثلما فعل أبو مزاحم الخاقاني (ت : ٣٢٥ هـ) - وهو أول من أُلّف في علم التجويد - في قصيدته الرائية في التجويد ؛ إذ ضمنها عشرين بيتاً في الآداب، ومثل مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧ هـ) ؛ إذ جعل في مقدمة كتابه « الرعاية لتجويد القراءة

وتحقيق لفظ التلاوة» عدة أبواب في الآداب الحميدة، وكالشاطبي (ت: ٥٩٠ هـ)؛ إذ طعم مقدمة وخاتمة قصيدته اللامية في القراءات السبع «حرز الأمانى» ببعض الصفات التربوية، وكابن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ) الذي ذكر في مطالع كتابه «منجد المقرئين ومرشد الطالبين» جملة من الآداب والصفات التي تلزم مدرّس القراءة، وكذلك فعل الصفاقسي (ت: ١١١٧ هـ) في مقدمة كتابه «غيث النفع في القراءات السبع».

وسوف أتناول بالحديث بعض الصفات التربوية لمدرّس القرآن، التي أراها حرية بالإيراد في هذا المقام؛ لما لها من أهمية في فاعلية الدور الذي يؤديه.

١ - وضوح الغاية من التعليم :

إن وضوح الغاية لدى حامل مشعل التوجيه والقيادة (المدرس)، يعد محور ارتكاز رسالته التربوية ؛ لأنه إذا اتضح أمام ناظره هدفه الذي يريد تحقيقه، استطاع أن يوجّه نفسه مع الأحوال التي تمر به، وتحمل لأجل غايته النبيلة المصاعب والمتاعب التي تواجهه .

لذلك نجد أن القرآن الكريم جلى هذه الحقيقة وأفصح عنها في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كَتَبْنَاكَ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ﴾ (الأعراف : ٢) ، فقلوله تعالى : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ﴾ -أي ضيق- واضح في تقرير وتأكيد وضوح الغاية من التبليغ، فالنهي

في قوله: ﴿فَلَا يَكُنْ﴾ متوجه إلى الحرج ، للمبالغة في التكليف باقتلاع الضيق من أصله، وذلك على طريقة العرب في قولهم : « لا أرينك ههنا »، أي لا تحضر فأراك^(١).

فوضوح الهدف يعدُّ القوة الدافعة لتحقيق الغاية التي يصبو إليها كل صاحب مبدأ .

لهذا نجد ابن جماعة حدّد أول غايات العالم مع طلبته بقوله : « أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها، واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعضهم، وبركة دعائهم له وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله ﷺ وبينهم، وعداده في جملة مبلغى وحى الله تعالى وأحكامه ؛ فإن تعليم العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين»^(٢).

ومن غايات مدرس القرآن الكريم أن يكون مقصوده من التدريس :
أ - نشر القرآن الكريم، وتحصيل الأجور العظيمة التي رتبها الشارع على تعليم القرآن الكريم، وتلاوته، والاستماع إليه ؛ تحقيقاً لقول النبي ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣).

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٣/٨.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم: ٤٧.

(٣) سبق تخريجه ص: ٤٨٢.

ب - التأسّي والاقْتداء بالرسول ﷺ، وصحابته، ومن جاء بعدهم من سلف الأمة وأئمتها الذين قاموا بهذا الدور ؛ تحقيقاً لقول النبي ﷺ : « بلغوا عني ولو آية »^(١)»^(٢).

ج - تقوية صلة التلميذ بكتاب الله، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

د - حفظ الطالب لأكثر عدد ممكن من سور القرآن الكريم .

هـ - ربط التلميذ بصلاة الجماعة في المسجد، وإفادته من الدروس وحلق العلم المنعقدة فيه، وبخاصة فيما يخص القرآن الكريم .

و - حفظ التلميذ وصيائنه من الآفات والمفاسد الاجتماعية^(٣).

وكما أن وضوح الهدف التعليمي لدى المدرس هو عون له في قيامه بوظيفته المناطة به، كذلك وضوحه لدى التلميذ يثير فيه دوافع التلقي اليقظ، والاستعداد الجيد ؛ لذا يرى بعض التربويين أنه يجب على المدرس أن يُذكر الطلاب بأهداف التعلم في الأسبوع الأول من كل عام دراسي^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٤٦١) (فتح الباري : ٦ / ٥٧٢)، وأحمد في المسند : ٢

/ ١٥٩، والترمذي (تحفة الأحوذى : ٧ / ٤٣١)، وغيرهم .

(٢) انظر المدارس والكتاتيب القرآنية : ١٤ .

(٣) انظر التقييم الذاتي لمعلم التربية الإسلامية : ٩٧، ٩٨ .

(٤) انظر طرق تدريس القرآن الكريم للزعبلاوي : ٢٨ .

وحتى يحقق المدرس غايته ومراده من التعليم، ينبغي أن يكون قدوة لطلابه في جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته في العمل بتعاليم القرآن، وتعظيمه، وتقدير حملته، وإبراز محاسنهم، وغض الطرف عن هفواتهم وزلاتهم، والتزام الصدق، والتلفظ بالألفاظ الحسنة، وترك الألفاظ البذيئة، والقيام بواجب النصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع الالتزام والتقيد بالمواعيد، والحرص على مطابقة الفعل للقول.

وقد أدرك السلف - رحمهم الله تعالى - هذا الأمر، فهذا عمر بن عتبة يقول لمعلم ولده : « ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بك؛ فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت »^(١).

٢ - التدرج في التعليم :

لا ريب أن البداية بتعليم الأصول والكلديات قبل الفروع والجزئيات، يعد السِّلْم السوي في مراتب التعليم، وأدعى لثبات العلم ورسوخه لدى المتعلم .

وقد قرر المنهج النبوي هذه الطريقة في التعليم، فعن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : « كنا مع النبي ﷺ، ونحن فتيان

(١) المدارس والكتاتيب القرآنية : ١٧ .

حَزَاورَة^(١)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازدنا به إيماناً^(٢).

ودلّ حديث ابن عمر - وهو من صغار الصحابة - أن هذا المنهج سرى على الصحابة عموماً، فقال - رضي الله عنه - : «لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ، فتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها»^(٣)، ثم بين أن هذا المنهج طرأ عليه تغيير في جيل التابعين، فيقول عن بعض من شاهد طريقة تعلمهم القرآن :

«ولقد رأيت اليوم رجالاً، يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدقل»^(٤).

وهذا الذي يتحدث عنه - رضي الله عنه - حقيقة مُرَّة نلاحظها اليوم في بعض رواد حلق القرآن، فتجد الواحد منهم من أبعد الناس خلقاً وأدباً وسلوكاً عما يدعو إليه القرآن، وما ذلك إلا لتحول المنهج الصحيح في الأخذ والتلقي، فأصبح الأمر مجرد ألفاظ يرددها

(١) جمع حَزَوْرٍ وحَزَوْرٍ، وهو الفتى الذي قارب البلوغ، (النهاية لابن الأثير:

٣٨٠/١).

(٢) رواه ابن ماجه في مقدمة سننه : ٢٣/١ .

(٣) سبق تخريجه ص : ٥١٩ .

(٤) تنمة الحديث السابق، والدقل : رديء التمر .

ويحفظها، فلا تجد لها مسلكاً إلى القلب، فلا ينتفع بهذا الكلام المبارك .

ومن هذا المبدأ يجب على كل معلم لكتاب الله أن يكون حكيماً في تعليمه، متفهماً لما يعطيه، فقد جاء عن الضحاك في معنى قوله تعالى: ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلْكَتَبَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، قال: «حق على من تعلّم القرآن أن يكون فقيهاً»^(١). وقال البخاري: «ويقال: الرباني الذي يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره»^(٢)، أي يبدأ بالقضايا الواضحة السهلة، قبل المسائل الدقيقة والكبيرة^(٣).

لذلك على المعلم أن يراعي مدارك الطلاب، ومستوياتهم، وأعمارهم، ويعطي كلاً ما يقدر عليه .

وقد أشار الإمام النووي لهذا المسلك التربوي، فقال: «وينبغي أن يؤدّب المتعلم على التدرّج بالآداب السنية، والشيم المرضية...»^(٤). وفي ضوء ما سبق يتعين على معلم كتاب الله استخدام أسلوب التدرّج التربوي في التعليم والتأديب، وذلك أن الوصول بالمتعلم إلى

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٨٥ .

(٢) كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل (فتح الباري: ١ / ١٩٢) .

(٣) انظر فتح الباري: ١ / ١٩٥ .

(٤) التبيان: ٣٣ .

الكمال التربوي لا يتم إلا بالتدرج، وأي استعجال في التعليم، أو التربية في الحلقات القرآنية دون مراعاة هذه القاعدة، فإنه يعني الفشل التربوي، والإخفاق في تحقيق الأهداف التربوية^(١).

٣ - مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب :

تحتاج العملية التربوية إلى اهتمام بالغ في مراعاة تمايز الطلاب في القدرة على الاستيعاب، والتلقي، والفهم، والحفظ .

وهذا الأصل التربوي له امتداده من السنة العطرة، ومن هدي معلم البشرية ﷺ، فكان شديد المراعاة له بين المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يخاطب كل واحد بقدر فهمه، وبما يلائم منزلته، وكان ﷺ يحافظ على قلوب المبتدئين، فلا يعلمهم ما يعلم المنتهين، ويجيب كل سائل عن سؤاله بما يهمله ويناسب حاله، ويوصي كل واحد - ممن طلبوا منه الوصية - بغير ما أوصى به الآخر ؛ لاختلاف أحوالهم، وأعطى أجوبة حول أفضل الأعمال أو أحبها إلى الله تعالى، بحسب ما رآه من السائل أنه أفضل وأهم له ؛ نظراً لحاجاته وأحواله، ولهذا كله أمثلة عديدة وشهيرة في السنة النبوية^(٢).

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - الذي قال عنه ﷺ :

(١) انظر مهارات التدريس في الحلقات القرآنية : ٢٢٢ .

(٢) انظر الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، والأمثلة المذكورة فيه : ٨١ - ٩١ .

« إنك غليمٌ معلَّمٌ »^(١)، والذي قال عن نفسه : « ولقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه »، قال شقيق : فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ، فما سمعت أحداً يرد ذلك عليه، ولا يعيبه^(٢) – يسير على هذا المبدأ، فيقول : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة »^(٣).

والممارس لمهنة التعليم يلحظ فروقاً بارزة بين الطلاب، ومن مهام المدرس أن يستطيع معرفة نفسية واستعداد كل طالب، وما يقدر عليه، وهي خصيصة من خصائص المدرس الناجح .

وقد قرر الآجري هذه القاعدة بقوله – عن مقرئ القرآن – : « وينبغي له أن يستعمل مع كل إنسان يلقيه القرآن ما يصلح لمثله »^(٤). ففي جانب حفظ القرآن الكريم تجد بعض الطلاب لديه قدرة على حفظ خمس آيات في اليوم، وبعضهم لديه قدرة على حفظ صفحة، وبعضهم لديه قابلية لحفظ ثلاثين آية أو أكثر، ولنا شاهد في عز الدين

(١) رواه أحمد : ١ / ٣٧٩، والفسوي في المعرفة والتاريخ : ٢ / ٥٣٧ بلفظ « إنك غلام معلَّم »، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط (سير أعلام النبلاء : ١ / ٤٦٥) .

(٢) رواه مسلم : ٤ / ١٩١٢ .

(٣) رواه مسلم في مقدمة صحيحه : ١ / ١١ .

(٤) أخلاق حملة القرآن : ٤٧ .

ابن جماعة (ت : ٨١٩ هـ)، الذي كان يحفظ كل يوم حزبين من القرآن الكريم، فحفظه في شهر واحد^(١).

وفي جانب الفهم، تجد بعض المتعلمين يفهم بتقرير يسير من المدرس، وبعضهم يحتاج لبسط وتوضيح وإعادة، وبعضهم يحتاج إلى أمثلة بيانية .

وفي جانب علم التجويد تواجه بعض المتلقين من يكتفي بما يلقى إليه من تقويم وتصحيح، وبعضهم عنده قابلية لحفظ القاعدة والأمثلة عليها، وبعضهم لديه قدرة على حفظ المتون المساعدة، كحفظ متن الجزرية، أو « تحفة الأطفال » للجمزوري، أو « لآلئ البيان في تجويد القرآن » للشيخ إبراهيم بن علي بن علي شحاتة السمنودي المعاصر، أو ما شابهها من المتون السائرة الشهيرة في هذا العلم .

فعلى المعلم ملاحظة هذا التباين الواضح، ومراعاة الفروق البارزة بين المتعلمين، ومن الخطأ الجلي لدى بعض معلمي القرآن، المساواة بين الطلاب، وحمل الضعيف - حملاً عنيفاً - ليلبغ إلى مستوى الطالب اليقظ النبیه، وهذا لا يعني ترك التحفيز أو رفع الهمم، أو مكافأة المحسن، وعقاب المقصر، بل المقصود أن ترك الأخذ بمبدأ مراعاة الفروق في التعليم والتوجيه، يوجد نشأً متفسخاً، ويبرز نوعيات من الطلبة نافرة، أو يؤدي إلى ظهور طبقة تحملت فوق ما تستوعب .

(١) انظر طبقات المفسرين للدواودي : ٢ / ٩٤ .

٤ - الرفق في التعليم :

يعد الرفق من الأصول المهمة في التعليم والتربية، ومما يباركه الله تعالى ويحبه، فقد قال ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه »^(١).

وتزداد أهمية هذا الأسلوب الرقيق الرفيع لدى ضعف العقول، كالصغار الذين يحملون في حناياهم أحاسيس مرهفة، وشخصيات لمّاحة، أو لدى غلاظ الطباع الذين لم يتأدّبوا بعلم، أو تحضر، أو مجالسة، كأهل البادية ونحوهم، مما يحمل المدرس عبئاً كبيراً ومسؤولية زائدة، يحتسب أجراها عند الله تعالى .

ويعدّ التواضع وخفض الجناح للمتعلّم من أعظم صور الرفق به، لما يولده في نفسه من امتزاج العلم والأدب في هذه المظهرية العالية، فيدنو له علم أستاذه، وتنشأ بينهما علاقة دافئة، توصل له هذا العلم .

«إن التواضع كالأرض المنخفضة تجتمع فيها خيرات السماء، على حين تغادر القمم والسفوح، ولو لم يكن في التواضع سوى جعل صاحبه قادراً على جذب من هم أكثر منه تفوقاً، لكان مكسباً كبيراً،

(١) رواه البخاري (٦٠٢٤) (فتح الباري : ١٠ / ٤٦٣)، ومسلم (٢٥٩٣) في

الصحيح : ٤ / ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ .

وعلى كل حال، فإن المتكبر يظل هو الخاسر ؛ حيث يفقد دفء الألفة وحرارة الالتحام بالآخرين، وبذلك فإن ما يزهو به، يكون عامل إقصاء له عن الناس، وحرمان مما تمسّ حاجته إليه»^(١).

ومن صور الرفق بالطالب ألا يردّ لكونه غير صحيح النية بطلبه القرآن، قال النووي -رحمه الله- : «قال العلماء - رضي الله عنهم- : ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، فقد قال سفيان وغيره : طلبهم للعلم نية . وقالوا : طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، معناه : كانت عاقبته أن صار لله تعالى»^(٢).

وقال الذهبي - في ترجمة معمر بن راشد - : «نعم يطلبه أولاً والحامل له حب العلم، وحب إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحو ذلك . ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه، ولا صدق النية، فإذا علم حاسب نفسه، وخاف وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم، وعلامة ذلك أنه يُقصر من الدعاوى وحب المناظرة، ومن قَصْد التكثير بعلمه، ويزري على نفسه»^(٣).

(١) العيش في الزمان الصعب : العلاقات الاجتماعية : ٢٥ - ٢٦ .

(٢) التبيان : ٣٤ - ٣٥، ونحوه في تذكرة السامع : ٤٧، ومنجد المقرئين : ٦٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٧ / ١٧ (قاله الذهبي تعليقا على قول معمر بن راشد :

كان يقال : إن الرجل يطلب العلم لغير الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله) .

ومن صور الرفق بالطالب أن يتخول الرد اللطيف عليه حين خطئه، قال الآجري - في أخلاق المقرئ - : «وينبغي لمن قرأ عليه القرآن فأخطأ فيه، أو غلط ألا يعنفه، وأن يرفق به، ولا يجفو عليه، ويصبر عليه ؛ فإنني لا آمن أن يجفو عليه فينفر عنه، وبالحري ألا يعود إلى المسجد»^(١).

نعم ؛ لأن العنف من أسباب النفور والهجر، فيحرص المدرس أن يكون رده على الطالب بطريقة لطيفة، لا تعنيف فيها ولا زجر، ولا استعجال، ويتمنى بقلبه أن يأتي الطالب بالصواب، فإن عجز أرشده بأن يأتي بآية قبلها، فهو أدعى لاستذكاره واستحضاره، فإن كثر خطؤه أمره بالتوبة إلى الله بقلبه عند تكرار الآية، ثم أرشده للمراجعة المتقنة، والبعد عن كل سبب يؤدي لضعف الحفظ .

وكان من عبارة بعض مشايخنا في الرد أنه كان يقول : «السَّندَةُ تُكْرَمُ، والرَّدةُ تُحْطَمُ»، أي أن سَنَدَ الطالب ليتحرى الإجابة الصحيحة، فيه تكريم له واحترام؛ لأنه يفرح بحسن إجابته، وأن الرد المباشر على الطالب دون تمكين له من الاستحضار، وإنشاء الإجابة السليمة، فيه تحطيم لمشاعره ونفسيته، وهو مأخذ تربوي سيدي .

(١) أخلاق حملة القرآن : ٥٣ .

٥ - الصبر على المتعلم :

إن خلق الصبر من الأخلاق العظيمة التي من تحلّى بها نال العلا، وقد تردد ذكره في القرآن العظيم أكثر من مائة مرة، مما يدل على أهميته، وعظم التذكير به .

وقال عنه ﷺ : « والصبر ضياء »^(١)، والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر فإنه نور خالص لا حرارة فيه، ولما كان الصبر شاقاً على النفوس، يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها، وكفها عما تهواه، كان ضياء^(٢) .

فمدرس القرآن يحتاج له دائماً، فهو يصبر على نفسه ويجاهدها، ويصبر على الجلوس الطويل للتعليم والقراءة، ويصبر في شرحه وتوضيحه للمتعلمين، ويصبر على أخلاق الطلاب وما يصدر عنهم - أحياناً - من نقائص .

قال النووي - رحمه الله - : « وينبغي أن يحنو على الطالب، ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه ومصالح ولده، ويجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه، والاهتمام بمصالحه، والصبر على جفائه، وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان ؛ فإن الإنسان

(١) رواه مسلم (٢٢٣) في الصحيح : ١ / ٢٠٣، وأحمد : ٥ / ٣٤٢، والنسائي

(٢٤٣٧) في السنن : ٥ / ٥ - ٦، وغيرهم .

(٢) انظر جامع العلوم والحكم : ٢ / ٢٤، ٢٥ .

معرض للنقائص، لا سيما إن كان صغير السن»^(١).

ويعد معلم القرآن من الهداة إلى الله المسكين بكتابه، فهو من أئمة الدين الذين يحتاجون للصبر المستمر، واليقين، وهما ركنا الإمامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

ومما يؤكد ضرورة الصبر على المتعلمين في الحلقات القرآنية في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى، ما أفرزه التقدم المعرفي، والتقني، وانتشار وسائل الاتصال التي جعلت العالم كقرية واحدة، فأدى ذلك إلى اتساع ثقافة التلاميذ، وزيادة حجم التناقض السلوكي عند الجماعات المرجعية للمتعلم، كل هذا أوجد عنده مشكلات وسلوكيات متنوعة غير التي كانت بالأمس . وهذا يتطلب جهداً من المعلم في الحلقات القرآنية، ويحتاج إلى الحلم، والصبر، والتدرج؛ لينجح في معالجة تلك المشكلات، ويغرس في نفوسهم الأخلاق الحسنة، ويحقق أهداف الحلقات التربوية، وبدون هذا الخلق قد يتسرب التلاميذ من الحلقات، فلا يعودون إليها؛ لأن المعلم إذا لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح^(٢).

(١) التبيان : ٣١ .

(٢) مهارات التدريس في الحلقات القرآنية : ٧٥ - ٧٦ .

٦ - استخدام الوسائل التوضيحية :

يعد استخدام الأساليب الموضحة والشارحة من أساليب التربية المشوّقة والمؤثرة، وهو أسلوب نبوي كريم، استخدمه النبي ﷺ بعدة أشكال، فكان يوضح المعاني التي يريد بيانها بالرسم على الأرض والتراب، أو بالتشبيه وضرب الأمثال، أو بالجمع بين القول والإشارة في التعليم .

فمن ذلك : ما رواه عبد الله بن مسعود قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ (الأنعام : ١٥٣)، فخط خطأً، فقال : « هذا الصراط »، ثم خط حوله خطأً، فقال : « وهذه السبل، فما منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه »^(١).

وقد نبه علماء التربية الأوائل على هذا الأسلوب، فقال ابن جماعة : « ويبدأ بتصوير المسائل، ثم يوضحها بالأمثلة »^(٢)، وهو أسلوب توظيفي؛ لتقرير المعلومة وتأكيداها .

وللوسائل التعليمية فوائد عديدة، فهي تثير تفكير المستمع،

(١) رواه الآجري في الشريعة : ١ / ٢٩٠-٢٩١، والحاكم في المستدرک : ٢ / ٣١٨، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : ٣ / ٣٩٧، وابن ماجه في مقدمة السنن : ١ / ٦، كلاهما عن جابر .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم : ٥٢ .

وترهف الحواس، وتبعث روح النشاط ؛ إذ تكسر الطريقة الرتيبة في الإلقاء، وتربي في المتعلم دقة الملاحظة والتأمل وحصر الانتباه، وتساعد على تثبيت المعلومات، وتعمل على توفير الوقت والجهد على المعلم والمتعلم^(١).

وترد أهمية الوسائل التوضيحية في تعليم القرآن الكريم وتلاوته، وبخاصة لصغار السن، لما يعتور بعض المباحث من تشعب، أو دقة . وأرى أن استخدام هذا الأسلوب في التدريس مهم لمدرس التجويد والقراءات - أيضاً - ؛ لأن ربط المسألة المتحدث عنها بالصورة المنظورة أو الخيالية، له دور فعال في تقريرها وتثبيتها في عقل المتعلم . فمثلاً : إذا أراد المعلم تقرير أهمية الاعتناء بصفة القراءة الشرعية، وأنها يجب أن تكون وفق أحكام التجويد التي قررها العلماء، ونقلتنا في ثنايا قراءات القرآن المتواترة بهذه الكيفية، وأن التحرر منها - أحياناً - يخل بالصبغة العملية للتلاوة ؛ بحيث تظهر معايب أدائية لدى المتعلم، سببها إخلاله بعدم الالتزام بتلك الأحكام التي ينبغي له اصطحابها في كل مرة يقرأ بها القرآن، فضرب المعلم مثلاً لهذه الحالة بمتعلم قيادة السيارة المبتدئ، الذي يكون منشغلاً بكثير من المهارات القيادية عن التركيز المحكم على ما أمامه، ومع الزمن وارتياض التدريب على القيادة بمهارة، والتميز قوانين القيادة، تصبح

(١) انظر طرق تدريس التجويد : ٥٢ .

قيادة السيارة له طبيعة متأصلة في تعامله مع هذا المركب الجامد، فيغدو يتعامل مع آليات القيادة بلا تفكير بعدما تطبّع بها، وصارت عنده أمراً اعتيادياً .

وهكذا الأمر مع تالي القرآن الكريم بأحكام التجويد، سيري - بداية - أنه محكوم بقيود أدائية لم يَعْتَدْها فإذا مارسها ومرن لسانه عليها، وداوم القراءة بهذه الصفة زمناً، أصبحت هذه الصفة له سجية وعادة، يأتي بها بلا تكلف، ولا تفكير أو تمعن .

وقد تفتقت في هذا العصر وسائل تعليمية لم تعرف من قبل، فيمكن للمدرس أن ينتقي منها ما يلائم البيئة التي يدرس فيها، وأعمار طلابه، ومستوياتهم، والإمكانات المادية المتاحة في ذلك .

فيمكنه استخدام المقاطع الرسمية الملونة ؛ لإظهار مواضع مخارج الحروف، أو استخدام الموضح العلوي (over head projector) ؛ لشرح ما يحتاجه من أحكام، أو الاستعانة ببرنامج تعليم التجويد الذي أنتجته شركة « صخر »؛ لما له من مزايا وإمكانات متعددة، وقد استُخدم مؤخراً في معامل تعليم القرآن الكريم في كلية إعداد المعلمين بالمدينة، وهي تجربة رائدة وناجحة .

ومن المحاولات الناجحة في هذا المضمار ما ظهر مؤخراً باسم « مصحف التجويد »، الذي استخدمت فيه أحكام التجويد بصورة الألوان ؛ لضبط مواضع بعض مسائله الشهيرة، كالمد، والقلقلة،

وأحكام النون الساكنة، ونحوها، وظهر بصورة كتابية، وبصورة رسمية صوتية مسجلة .

٧ - العدل بين الطلاب :

لا بد للمعلّم والمربي أن يأخذ بمبدأ العدل والمساواة بين طلابه، لأنهم أبنائهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم »^(١)، فالعدل بين الطلاب لازم، كما هو الحال بين أبناء الصلب .

ويحتاج تطبيق مبدأ العدل بين المتعلمين إلى مهارة ودربة ؛ لأنهم قدموا من بيئات مختلفة، وتلقوا تربيّات متباينة، فمن ثم مراعاة نفسيّاتهم ونظراتهم لمعاني التصرفات مبدأ مهم للغاية، حتى في أيسر الأمور وأسهلها، نحو التحية، والنظرة، والكلمة، والابتسامة، ووضع اليد على الكتف تشجيعاً، ونحوها من الأقوال والأفعال التي تثير حفاظ الشبهة المتقاربين، أو تدعو لوهمي العلاقات الاجتماعية فيما بينهم ؛ لذلك كان النبي ﷺ « يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه »^(٢)، وهو أمر لا يقدر عليه إلا من

(١) رواه مسلم (١٦٢٣) في صحيحه : ٣ / ١٢٤٣ - ١٢٤٤، وفي رواية « قاربوا

بين أولادكم » .

(٢) رواه الترمذي في الشمائل : ١٦٨ عن علي رضي الله عنه، وبنحوه أبو الشيخ

الأصبهاني (١٨) في أخلاق النبي ﷺ وآدابه : ٢٢ .

أخلص النية، وصدق في تعامله مع الناس، وراعى نفسياتهم .
وكما أن ترك العدل بين الطلاب يثير بينهم كمائن النفوس، كذلك
قد ينتج عنه الكره والبغض للمعلم ؛ لذا يتوجب عليه أن يكون
حصيماً في تعامله فلا « يُظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض في
مودة، أو اعتناء مع تساويهم في الصفات، من سن، أو فضيلة، أو
تحصيل، أو ديانة ؛ فإن ذلك ربما يوحش منه الصدر، وينفر
القلب »^(١).

أما إن كان لبعض الطلاب مزية تقدم في الاجتهاد وطلب العلم، أو
حسن الخلق والأدب، فلا حرج على المدرس أن يبرز هذه المزية بتلطف؛
لأنه مما يدعو النظراء إلى الاتصاف بتلك المزية^(٢).

ومن صور العدل التي ينبغي لمدرس القرآن مراعاتها، أن يقدم في
القراءة الأول فالأول ؛ لأنه من جانب راعى العدل بين الطلاب، وفي
المقابل شجع المتأخر على البكور ؛ لينال القراءة الأولى .

ومن لطيف ما يذكر في هذه الصورة التعليمية " أن الشاطبي كان
يصلي الصبح بغلس^(٣) بالفاضلية^(٤)، ثم يجلس للإقراء، فكان الناس

(١) تذكرة السامع والمتكلم : ٥٩ .

(٢) انظر المصدر السابق : ٥٩ .

(٣) وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح، (المعجم الوسيط (غلس): ٦٥٨) .

(٤) وهي مدرسة بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني بدرب الملوخية في
القاهرة، وجعل الشاطبي شيخها، (غاية النهاية: ٢ / ٢٠) .

يتسابقون السرى^(١) إليه ليلاً، وكان إذا قعد لا يزيد على قوله : من جاء أولاً فليقرأ، ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق، فاتفق في بعض الأيام أن بعض أصحابه سبق أولاً، فلما استوى الشيخ قاعداً قال : من جاء ثانياً فليقرأ، فشرع الثاني في القراءة، وبقي الأول لا يدري حاله ؟ وأخذ يتفكر ما وقع منه بعد مفارقة الشيخ من ذنب أوجب حرمان الشيخ له، ففطن أنه أجنب تلك الليلة، ولشدة حرصه على النوبة نسي ذلك لما انتبه، فبادر إلى الشيخ، فاطلع الشيخ على ذلك، فأشار للثاني بالقراءة، ثم إن ذلك الرجل بادر إلى حمام جوار المدرسة فاغتسل به، ثم رجع قبل فراغ الثاني، والشيخ قاعد أعمى على حاله، فلما فرغ الثاني، قال الشيخ : من جاء أولاً فليقرأ، فقرأ^(٢).

قال ابن الجزري - معقباً - : « وهذا من أحسن ما نعلمه وقع لشيوخ هذه الطائفة^(٣)، بل لا أعلم مثله وقع في الدنيا^(٤)، وهذا إن صح فمن قبيل الكرامة.

(١) وهو سير عامة الليل، (المعجم الوسيط (سرى): ٤٢٨).

(٢) غاية النهاية: ٢ / ٢١ - ٢٢.

(٣) أي: علماء القراءة.

(٤) غاية النهاية: ٢ / ٢٢.

٨ - القدرة على إدارة الحلقة القرآنية :

إن القدرة على إدارة الحلقة تتمثل في شخصية المدرس المتزنة، المتمكنة من توجيه الطلاب، واتخاذ القرارات المناسبة للظروف الطارئة، مع التحلي بمكارم الأخلاق وجميل السجايا .

ولا شك أن تأهل المدرس العلمي الجيد، ومراعاته للصفات الذاتية في شخصيته من الإخلاص والصدق، والتقوى، وحسن الخلق، والشعور بالمسؤولية، وأداء واجبه بأمانة، ثم مراعاته لمواصفات مهنته التربوية من التدرج في التعليم، ومراعاة الفروق الفردية، والرفق، والصبر ... كلها عناصر أكيدة لنجاح إدارته للحلقة القرآنية .

أما إذا سلك سبل الطرق العنجهية كضرب الجدار، أو الطاولة، أو رفع الصوت بطريقة مؤذية، ونحوها من الممارسات الخاطئة، فإن هذا المسلك مؤشر على ضعف شخصيته «ومثل هذا المدرس لا يصلح للعمل في مجال التربية والتعليم، فضلاً عن الحلقات القرآنية ؛ لأنه يعيق التلاميذ عن الاستمرار في تعلم القرآن الكريم، وحفظه، وفهم آدابه، ومعرفة أحكامه، والعمل بها»^(١) .

ومما يلتحق بقدرة المدرس على إدارة الحلقة ونجاحه فيها، أن يكون ملماً بأحوال المجتمع الذي يعيش فيه، وبعادات الناس وتقاليدهم، وأن يكون له بصر بمصادر التوجيه والتأثير في الناس .

(١) مهارات التدريس في الحلقات القرآنية : ١٠٩ - ١١٠ .

كما ينبغي له الاطلاع على طرق التدريس، والدراسات التربوية والبحوث النفسية والاجتماعية التي تتحدث عن الطفل، والمراهق والتغيرات النفسية والجسدية التي يمر بها كل منهما ؛ لكي يتمكن من إيصال المعلومة بأفضل أسلوب، وأنجح طريقة^(١).

ويحسن به أن يعتني بأسس العلاقات الاجتماعية، ومهارات فن التعامل مع الآخرين، وأن ينقل مفردات هذه المهارات الاجتماعية من معجم التعلم إلى قاموس التربية العملي .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

(١) انظر المدارس والكتاتيب القرآنية : ٢٠ .

مسرد المصادر والمراجع

– الإتقان في علوم القرآن :

لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١ هـ)،
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث – القاهرة، ط
(٣)، ١٤٠٥ هـ.

– أخبار الحمقى والمغفلين :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ)، دار
الكتب العلمية – بيروت، (بدون تاريخ).

– أخلاق حملة القرآن :

لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت : ٣٦٠ هـ)، تحقيق : الدكتور
عبد العزيز القاري، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط (١)، ١٤٠٨ هـ.

– أخلاق النبي ﷺ وآدابه :

لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ
الأصفهاني (ت : ٣٦٩ هـ)، دراسة وتحقيق : عصام الدين سيد
الصاباطي، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، ط (٣)، ١٤١٧ هـ.

– الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات
وعقد الديانات بالتجويد والدلالات :

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت : ٤٤٤ هـ)، حققه وعلق

عليه : محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني - الرياض، ط (١)،
١٤٢٠ هـ.

- إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام :

لمحمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت :
١٣٦٣ هـ)، مكتبة المعرفة - حمص، ط (٢)، ١٣٩٢ هـ.

- البحر المحيط في أصول الفقه :

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ)، تحقيق
ومراجعة مجموعة من العلماء، مطبوعات وزارة الأوقاف الكويتية، ط
(٢)، ١٤١٣ هـ.

- البيان في عد أي القرآن :

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت : ٤٤٤ هـ)، تحقيق : الدكتور
غانم قدوري الحمد، مطبوعات جمعية إحياء التراث - الكويت، ط
(١)، ١٤١٤ هـ.

- التبيان في آداب حملة القرآن :

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦ هـ)، حققه وخرج
أحاديثه : عبد القادر الأرناؤوط، مطبوعات جمعية القرآن الكريم -
جدة، ط (٢)، ١٤٠٨ هـ.

- التحديد في الإتقان والتجويد :

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت : ٤٤٤ هـ)، تحقيق : الدكتور

غانم قدوري الحمد، مكتبة دار الأنبار - بغداد، ط (١)، ١٤٠٧ هـ.

– تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى :

لأبى العلى محمد بن عبد الرحمن المباركفورى (ت : ١٣٥٣ هـ)

تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر - بيروت، ط (١)،

١٣٩٩ هـ.

– تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم :

لبدر الدين بن إبراهيم بن جماعة الكنانى (ت : ٧٣٣ هـ)، مصورة دار

الكتب العلمية، (بدون تاريخ) .

– تفسير التحرير والتنوير :

لمحمد الطاهر بن عاشور (ت : ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية - تونس،

١٤٠٤ هـ.

– تفسير القرآن :

لأبى المظفر منصور بن محمد السمعانى (ت : ٤٨٩ هـ)، تحقيق : أبى

تيميم ياسر بن إبراهيم وأبى بلال غنيم بن عباس غنيم، دار الوطن -

الرياض، ط (١)، ١٤١٨ هـ.

– تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير :

لأبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى (ت : ٧٧٤ هـ)، نشر مكتبة

المعارف - الرياض، ط (١)، ١٤٠٦ هـ.

– التقييم الذاتي لمعلم التربية الإسلامية :

للدكتور أمين أبولاي، دار ابن الجوزي – الدمام، ط (١) ، ١٤٢٠ هـ.

– التمهيد في علم التجويد :

لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت : ٨٣٣ هـ) ،

تحقيق : الدكتور غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، (ط)

١٤٠٧ هـ.

– التيسير في قواعد علم التفسير :

لمحمد بن سليمان الكافيجي (ت : ٨٧٩ هـ) ، دراسة وتحقيق : ناصر بن

محمد المطرودي ، دارالقلم – دمشق ، ودارالرفاعي – الرياض ، ط (١) ،

١٤١٠ هـ.

– جامع بيان العلم وفضله :

لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت : ٤٦٣ هـ) ، تحقيق : أبي

الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي – الدمام ، ط (٢) ، ١٤١٦ هـ.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) ، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى الحلبي – القاهرة ، ط (٣) ، ١٣٨٨ هـ.

– جامع البيان في القراءات السبع :

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت : ٤٤٤ هـ) ، (قطعة منه استلها

ونشرها الدكتور عبد المهيمن الطحان ، بعنوان « الأحرف السبعة

للقرآن»)، مكتبة المنارة - مكة المكرمة، ط (١)، ١٤٠٨ هـ.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم:

لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت: ٧٩٥ هـ)، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط (٥)،

١٤١٤ هـ.

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي:

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧٢ هـ)،

دار إحياء التراث العربي - بيروت، (بدون تاريخ).

- جمال القراء وكمال الإقراء:

لأبي الحسن محمد بن علي بن عبد الصمد السخاوي (ت: ٦٤٣ هـ)،

تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة التراث - مكة المكرمة، ط

(١)، ١٤٠٨ هـ.

- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة:

لمحمد بن جعفر الكتاني (ت: ١٣٤٥ هـ)، كتب مقدمتها ووضع

فهارسها: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية -

بيروت، ط (٤)، ١٤٠٦ هـ.

- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول

الديانات:

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤ هـ)، تحقيق: الدكتور

محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن الجوزي - الدمام، ط (١)،
١٤١٩ هـ.

— الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم :

لعبد الفتاح أبي غدة (ت : ١٤١٧ هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية
— حلب، ط (١)، ١٤١٧ هـ.

— الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة :

لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧ هـ)، تحقيق :
الدكتور أحمد حسن فرحات، دار عمار - الأردن، ط (٢)،
١٤٠٤ هـ.

— سنن أبي داود :

لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥ هـ)، إعداد
وتعليق : عزت عبید الدعاس وعادل السيد، دار الحديث للطباعة
والنشر والتوزيع - بيروت، ط (١)، ١٣٨٨ هـ.

— سنن ابن ماجه :

لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، (بدون تاريخ) .

— سنن القراء ومناهج المجودين :

للدكتور أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار -
المدينة المنورة، ط (١)، ١٤١٤ هـ.

– سنن النسائي :

لأحمد بن شعيب النسائي (ت : ٣٠٣ هـ) ، اعتنى به ورقمه وصنع
فهارسه : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ،
ط (١) ، ١٤٠٦ هـ .

– سير أعلام النبلاء :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) ،
تحقيق مجموعة من الباحثين ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط (٢) ،
١٤٠٢ هـ .

– شرح القصيدة الحصرية :

لأبي الحسن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن عزيمة الإشبيلي
(ت ٥٤٣ هـ) ، رسالة دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية
مقدمة من توفيق العبقري ، جامعة سيدي محمد عبد الله – فاس ،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بعنوان : « القصيدة الحصرية في قراءة
نافع وشرحها » ، عام ١٤١٤ هـ .

– الشمائل المحمدية :

لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩ هـ) ، شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ، ط (٣) ، ١٣٧٥ هـ (على
حاشية المواهب اللدنية للباجوري) .

– صحيح مسلم :

لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت : ٢٦١ هـ)، تحقيق :
محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون
تاريخ) .

– الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات :

لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت : ٨٨٥ هـ) تحقيق : الدكتور محمد
مطيع الحافظ، دار الفكر – دمشق، ط (١) ، ١٤١٦ هـ.

– طبقات المفسرين :

لمحمد بن علي الداودي (ت : ٩٤٥ هـ)، تحقيق : علي محمد عمر،
مكتبة وهبة – القاهرة، ط (١) ، ١٣٩٢ هـ.

– طرق تدريس التجويد وأحكام تعلمه وتعليمه :

للدكتورين فهد عبد الرحمن الرومي ومحمد السيد الزعبلوي،
مكتبة التوبة – الرياض، ط (١) ، ١٤١٧ هـ.

– طرق تدريس القرآن الكريم :

للدكتور محمد السيد الزعبلوي، مكتبة التوبة – الرياض، ط (١) ،
١٤١٧ هـ.

– العيش في الزمان الصعب : العلاقات الاجتماعية :

للدكتور عبد الكريم بكار، دار القلم – دمشق، ط (١) ، ١٤٢٠ هـ،
(ضمن سلسلة آفاق حضارية) .

– غاية النهاية في طبقات القراء :

لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت : ٨٣٣ هـ)،
عني بنشره : ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط
(٣)، ١٤٠٢ هـ.

– غيث النفع في القراءات السبع :

لعلي النوري الصفاقسي (ت : ١١١٧ هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى
البابي الحلبي – القاهرة، ط (٣)، ١٣٧٣ هـ، (بهامش سراج
القارئ).

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري :

لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ)،
تحقيق : محب الدين الخطيب، دار الريان – القاهرة، ط (١)،
١٤٠٧ هـ.

– الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني :

لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي (ت بعد : ١٣٧١ هـ)، دار الشهاب
– القاهرة، (بدون تاريخ).

– فضائل القرآن :

لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت : ٢٢٤ هـ)، تحقيق : وهبي
سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١)، ١٤١١ هـ.

– فضائل القرآن :

لأحمد بن شعيب النسائي (ت : ٣٠٣ هـ)، تحقيق : الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة – الدار البيضاء، ط (١)، ١٤٠٠ هـ.

– فضائل القرآن :

لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت : ٧٧٤ هـ)، دار الأندلس – بيروت، ط (٤)، ١٣٩٩ هـ.

– الفوائد المفهومة في شرح الجزرية المقدمة :

للحاج محمد بن علي يالوشة الشريف (ت : ١٣١٤ هـ)، (بدون تاريخ ومكان للطبع).

– القراءات القرآنية في بلاد الشام :

للدكتور حسين عطوان، دار الجيل – بيروت، ط (١)، ١٤٠٢ هـ.

– القطع والائتناف :

لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت : ٣٣٨ هـ)، تحقيق : الدكتور أحمد خطاب العمر، مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية، ط (١)، ١٣٩٨ هـ.

– قواعد الأصول ومعاهد الفصول مختصر تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل :

لصفي الدين بن كمال الدين البغدادى الحنبلي (ت : ٧٣٩ هـ)،

تحقيق وتعليق: الدكتور علي عباس الحكمي، مطبوعات جامعة أم
القرى - مكة المكرمة، ط (١)، ١٤٠٩ هـ.

- القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز:

لأبي عيد رضوان بن محمد المخللاتي (ت: ١٣١١ هـ)، تحقيق: عبد
الرازق بن علي موسى، مطابع الرشيد - المدينة المنورة، ط (١)،
١٤١٢ هـ.

- كتاب السبعة في القراءات:

لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤ هـ)،
تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط (٢)،
(بدون تاريخ).

- كتاب الشريعة:

لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت: ٣٦٠ هـ)، دراسة وتحقيق:
الدكتور عبدالله الدميجي، دار الوطن - الرياض، ط (١)، ١٤١٨ هـ.

- كتاب العلم:

لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت: ٢٣٤ هـ)، حققه وقدم له
وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب
الإسلامي - بيروت، ط (٢) ١٤٠٣ هـ.

- كتاب فضائل القرآن وتلاوته وخصائص ثلاثه وحملته:

لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي (ت: ٤٥٤ هـ)،

تحقيق وتخریج: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط (١)، ١٤١٥ هـ.

– كتاب المعرفة والتاريخ :

لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت : ٢٧٧ هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط (١)، ١٤١٠ هـ.

– لطائف الإشارات لفنون القراءات :

لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت : ٩٢٣ هـ)، تحقيق : الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، ١٣٩٢ هـ، (الجزء الأول).

– المجموع شرح المذهب للشيرازي :

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت : ٦٧٦ هـ)، تحقيق وإكمال : محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد – جدة (بدون تاريخ).

– مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية :

جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، توزيع : رئاسة شؤون الحرمين – مكة المكرمة، مصورة عن الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ.

– المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية :

كتاب المنتدى، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي – لندن، ط (١)،
١٤١٧ هـ.

– المدخل :

لابن الحاج محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت :
٧٣٧ هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط (٢)، ١٣٩٢ هـ.

– المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز :

لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت : ٦٦٥ هـ)،
تحقيق : طيار آلي قولاج، دار صادر – بيروت، ١٣٩٥ هـ.

– المسؤولية :

للدكتور محمد أمين المصري (ت : ١٣٩٧ هـ)، دار الأرقم –
الكويت، ط (٢)، ١٤٠٠ هـ.

– المستدرك على الصحيحين :

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت : ٤٠٥ هـ)، دار الكتب
العلمية – بيروت، (بدون تاريخ) .

– مسند الإمام أحمد :

لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ)، دار صادر –
بيروت، (بدون تاريخ) .

– المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر :

لأبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري (ت : ٥٥٠ هـ) ، رسالة
دكتوراه مقدمة من الدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري من أول
الكتاب إلى نهاية أبواب الأصول ، جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية – الرياض ، قسم القرآن وعلومه ، ١٤١٤ هـ .

– المعالم الأثيرة في السنة والسيرة :

لمحمود محمد حسن شراب ، دار القلم – دمشق ، والدار الشامية –
بيروت ، ط (١) ، ١٤١١ هـ .

– معالم التنزيل :

لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٦ هـ) تحقيق : محمد
عبد الله النمر وزميليه ، دار طيبة – الرياض ، ط (١) ، ١٤٠٩ هـ .

– المعجم الوسيط :

لأحمد حسن الزيات وزملائه ، دار الدعوة – إستانبول (بدون تاريخ) .

– مفردات ألفاظ القرآن :

لأبي القاسم الحسين بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت نحو :
٤٢٥ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، دار القلم – دمشق ، والدار
الشامية – بيروت ، ط (١) ، ١٤١٢ هـ .

– مقدمة جامع التفاسير مع تفسير سورة الفاتحة ومطالع سورة البقرة :

لأبي القاسم الحسين بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت نحو: ٤٢٥ هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات دار الدعوة – الكويت، ط (١)، ١٤٠٥ هـ.

– منجد المقرئين ومرشد الطالبين :

لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ)، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، ط (١)، ١٤١٩ هـ.

– مهارات التدريس في الحلقات القرآنية :

للدكتور علي بن إبراهيم الزهراني، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – الخبر، ط (١)، ١٤١٨ هـ.

– النشر في القراءات العشر :

لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ)، أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، مصورة دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون تاريخ).

– النهاية في غريب الحديث والأثر :

لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦ هـ)،

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية
- بيروت، (بدون تاريخ).

- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري:

لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي (ت: ١٤٠٩ هـ)، طبع على نفقة
محمد بن عوض بن لادن، ط (١)، ١٤٠٢ هـ.

الفهرس

٤٧٩.....	المقدمة.....
٤٨٢.....	تمهيد.....
٤٨٨.....	الفصل الأول : المقومات الذاتية.....
٥٠٣.....	الفصل الثاني : المقومات العلمية.....
٥٢٥.....	الفصل الثالث : المقومات التربوية.....
٥٤٨.....	مسرد المصادر المراجع.....
٥٦٤.....	الفهرس.....